تبصرة المرشدين

من المشايخ الخالديين

أبو عبد الرحمان محمد بن عبد الوهاب الجسطاوي

حققه وضبطه ودققه

عبد الجليل العطا

البكري

دار النعمان للعلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليّه والصّلاة على نبيّه

الطبعة الأولى

جمادى الثاني / ١٤١٧ ـ تشرين الثاني / ١٩٩٦

يطلب من:

الإدارة الدينية لمسلمي الداغستان
محاچ قلعة ـ ش عزيز علي ٢
هـ: ٦٣٣١٣١ ـ ٦٣٤١٨٥
ص.ب: ٣٦٧٠١٥

دار النعمان للعلوم

دمشق ـ حلبوني ـ ☎ ٢٢٤٩١٠٧ ✉ ٣٠١٥٦

مقدمة الطبع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمان الرحيم مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، الهادي إلى صراطه المستقيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هداية الحق بإذن الله إلى دينه القويم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداة المهديين، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين دهر الداهرين وأبد الآبدين.

وبعد؛ فإن هذه الرسائل القيمة التي نسقها مؤلف أجزاءها وجامع متفرقاتها وملتقط شتاتها الخليفة الجليل والمربي السلالك الفاضل الشيخ أبو عبد الرحمان محمد الذاكر ابن السيد الفاضل عبد الوهَّاب الجسطاوي جمعها من مكاتيب ومراسلات أستاذه وشيخه الصوفي الكبير والولي الشهير الفاضل العارف الشيخ محمود أفندي الألمالي من مشاهير أعيان داغستان في مصنف أسماه «تبصرة المرشدين» وفيها من أصول وقواعد الطريقة النقشبندية الخالدية التي ينتسب إليها مسائل مهمة وتنبيهات قيمة ذات بال وفيه من المطالب المهمة ما لا يكاد يوجد مجموعاً في كتاب.

ولما قدم إلينا في دمشق من طرف جناب العلامة الجليل المرشد الفاضل رئيس علماء داغستان العارف بالله مرشد الطريقة الشاذلية فضيلة الشيخ أرسلان علي أفندي حفظه الله تعالى ...

قدم من طرفه أخوان فاضلان

أحدهما نائب مفتي تلك البلاد حاملاً في جعبته هذا الكتاب وفيه هذه الرسائل المباركة ورغب إليَّ بما أراد الله تعالى له من خِيَرة أن أشرف على طبع هذا الكتاب وغيره نزلت عند رغبته ملبياً طِلبَته لحسن ظنه ولرجاء النفع لي ولمن تصل إليه هذه الرسائل بما فيها من تربية وتهذيب لأدخر ثواب نشرها بين يدي الله عز وجل معتمداً في ذلك بعد توفيق الله تعالى على نسخة مصورة عن نسخة خطية يصطحبها وقد استنسختها ووضعت لها علامات الترقيم المتداولة مضمناً هوامشها ما حملته النسخة الخطية ـ انظر نماذجها ـ وأحتسب على الله تعالى قضاء حاجة أخ مسلم أدخرها عند الله تعالى فإن كنت قد وفقت في ذلك فهو توفيق الله وفضله ورضاه عني وعن الطريقة النقشبندية والشاذلية وعن أصحابها الذين يعنيهم شأن هذا الكتاب، وإلا فإن العذر معروف وهو قلة بضاعتي وحاجب المعصية مني أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى إنه سميع قريب مجيب.

* * *

ترجمة المؤلف

هو المربي الكبير والمسلِّك الشهير الأستاذ العارف بالله ذو القطبيتين المرشد الجليل الشيخ أبو عبد الرحمان محمد الذاكر بن عبد الوهّاب الچسطاوي القزاني.

وصفه العارف الجليل الشيخ شعيب الباكني في كتابه «طبقات الخواجكان النقشبندية» بقوله:

أشهر خلفاء الخالدية في ديارنا، ومقتدى الكل بحيث لم يبق ناحية من بلاد قَزَان إلاّ وقد انقاد له علماؤها العظماء وفضلائها الكرماء وهو ـ سلّمه مولاه ـ عالم في جميع العلوم العقلية والنقلية.

تفقَّه على المولى العالم أوحد أهل عصره في مصره الشيخ المغفور المرحوم عبد الله المچكروي رحمه الله تعالى وإيانا.

ثم اشتغل بالتدريس وإفادة العلوم في بلده سنين كثيرة، وانتفع به خلق كثير.

ثم أخذ الطريقة الخالدية وتلقَّن الذكر عن الشيخ محمود أفندي الداغستاني الألمالي قُدِّس سرُّه؛ عن الشيخ يوسف الخالدي.

هذا وجدير بالذكر ههنا ما وجدته بخط بعض الفضلاء؛ عن سبب أخذ عن الشيخ محمود:

وأخبرني أخونا العالم الحاج حبيب الله القحي أن الشيخ محمد ذاكر مؤلف «تبصرة المرشدين» كان رجلاً عالماً غنياً غليظاً منكراً على الشيخ محمود أفندي قدس سره، ففي ليلة من الليالي نام هو، فجاء الشيخ محمود أفندي لديه وضربه بعصا، فانتبه من النوم، ثم نام؛ فجاء كذلك فضربه بها، فانتبه ثانياً... وهكذا إلى سبع مرات ثم بعد ذلك ذهب لديه وقام عنده ساكتاً. فقال له محمود أفندي كلمات تبيّن ما وقع له في تلك الليلة في الواقعة المنامية، وبعد ذلك أخذ عنه الطريقة وصار شيخاً كاملاً. ووجد فيه أيضاً:

ولقد قال أخونا الصالح سيف الله النثربكري: إني رأيت مكتوباً كتبه الشيخ محمود أفندي بيده إلى الشيخ محمد ذاكر وكان في أثنائه مخاطباً له: **سبقتنا بدرجات**. انتهى.

رضي الله تعالى عنهما وعنا وعن المسلمين.

ولم أعثر الآن على تاريخ وفاته.

عبد الجليل العطا
البكري

ط

تبصرة المرشدين

للشيخ الامام قدوة الواصلين الهمام ابي عبد الرحمن محمد الملا الكوز

ابن علي الوفا الخيشطاوي قدس سره ونور الله

قبره ووسع ضريحه

ورزقنا من بركاته وفيوضه

آمين

عن ابي حفص رضي الله تعالى عنه اكثر فساد السالكين من ثلثة فسق العارفين وخيانة المحبين وكذب المريدين وقال ابو عثمان رحمه الله تعالى فسق العارفين اطلاق الطرف واللسان والسمع الى اسباب الدنيا ومنافعها وخيانة المحبين اختيارهم هواهم على رضاء الله تعالى فيما يستقبلهم وكذب المريدين ان يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب على ذكر الله تعالى ورؤيته والكل منقول من العوارف للشيخ رضي الله تعالى عنه ● شرح الطريقة المحمدية لابي سعيد الخادمي رحمه الله تعالى

وذلك للقلب خاص ويبقى مخصوصا من اهلها لا بلها كما مر ولذلك لم يبق النقباء والنجباء والعابدون العاملون للقلب اهل الطريقة فى باب مشتغل الا انه الطريقة والشريعة توأمان كالروح والجسد احدهما النفس كال الاخلاق الذي هو العمل بالقلب والآخر للتحصيل اركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح فان الروح بلا جسد ماله قيام وان الجسد بلا روح ماله دوام وذلك امر مشترك بين المكلفين من الرجال والنساء ● سلطان الذكر مرقع

نور القلب سفيد كبي احمر صافي نوري اولور نور الروح اصفر اولور بعضي آچيق صاري نور السر ابيضدر نور الخفي زمردي اخضر اولور نور الاخفى بازباده بياض دبا زباده سواد اولور نور الطبيعة نفس طور يحي صار وزرد رنكنده اولور مفتاح القلوب

والرابطة مفيدة الوقوف القلبي والمازم بها من
الممكن في كل زمان ومكانه ... في الطلب ... عند الفناء
... لاهل الوفا
اما بالجملة ... رضي الله عنه ... الى النبي صلى الله عليه وسلم ... عدم التكاك ... في الخلاء ...

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله محمد عليه افضل ما نصلي وازكى ما نسلم اما بعد فهذه نبذة من آداب المرشد
من المشائخ الى لديهم قال الفقير المذنب ابو عبد الرحمن الى لدنه فالزم على الشيخ في الطريقة الى لدنه
النقشبندية اذا جاءه المريد الصادق في طلب الاستخارة من الشيخ المراد في المنام او اليقظة ان كان من اهلها او من
الطالب المريد ان لم يستخر قبل مجيئه او من كليهما وهو الاحوط الآن اذ كان في الشيخ الكامل ما قام مقام الاستخارة على ما
في كنز الهدايات نقلا من الامام ثم ان علم الاذن والاشارة والبشارة بعد الاستخارة يعطي التوبة ويلقنها الشيخ بان
يقرأ الشيخ على المريد دعاء التوبة المعهود عند الشيخ من السادات كاهو قرأه هو عند شيخه ثم يدعو الشيخ بعده والمريد يؤمن
دعاء المعهود عنده من شيخه ثم يعلم كيفية الجلوس عند الشيخ امامه ثم يامر برابطة الموت بان يفرض المريد نفسه ميتا
وضع في القبر مع الكفن ويبقى فيه فريدا لا معين له الا الواحد القهار ثم يعلم طريق رابطة الشيخ على النهج ما قرر عند نقله
من شيخه ثم يامر بالوقوف القلبي بان يتوجه الى قلبه بكليته ويلاحظ الله سبحانه على النهج ما امر ويخرج من قلبه ما سواه
ويفعل كذلك على قدر الحضور فان دام الحضور اجاز القعود بقيد دوام الحضور بلا التقصير من الذكر
هو الحضور ويدعو بالقبول بانه يقول المريد باللسان او البال يا رب اقبل هذا العبد المذنب بجاه السادات الذين
النقشبندية ثم يعلم الذكر باسم الذات من غير فرق بينه فرديه وقرينه على ما افتاه امامنا الامام الرباني في الاخر على ما قرر
في مكتوب العروة الوثقى الامام محمد المعصوم الفاروقي رضي الله عنه وعنا ويلقنه على قلب المريد ثلاثا ثم يتوجه الى قلبه
على ما ذاق ووجد في نفسه على انتفاء الوقوف وحال المريد ثم يدعو الشيخ رافعا يديه مع تامين المريد ويقول المريد
في آخر كل مائة في ذكر اسم الذات الهي انت مقصودي ورضاك مطلوبي ويلزم ايضا على المريد في ابتداء الذكر بعد
الاستغفار خمسة او خمسة عشر او خمسا وعشرين ثم الدعاء بالقبول ثم رابطة الموت ثم رابطة الشيخ على ما مر ثم يشتغل
بالذكر وهذا اول المراتب ايضا كذلك ثم يعلم ترتيب الشغل اللساني ويامر بالاستغفار فيستغفر بالسان مستقبل
القبلة في كل يوم قبل صلاة الفجر او بعدها بعد الوضوء التام خمسة وعشرين في سعة الوقت ويقول في اوله استغفر الله
العظيم وفي البواقي استغفر الله بالحركة بلفظ الجلالة ناظرا الى قلبه الصنوبري ورائيا اليه ثم بالصلاة على سيدنا وشفيعنا
البشير عليه الصلاة والسلام خمسة وعشرين ايضا بنية طلب الشفاعة منه كانه ينادي يا رسول الله هذا عبدك الضعيف
المذنب غرق في بحر العصيان فارجو بشفاعتك منه هذا وان ضاق الوقت يكفي خمسة في الاستغفار والصلاة ثم يقرأ سورة
الفاتحة مرة وسورة الاخلاص ثلاثا ثم يدعو بهذا الدعاء اللهم تقبل منا قراءة كلامك المجيد وزده ثوابا ودرجة وبلغ
ثواب ما قرأنا الى روح سيدنا وسندنا الكائنات محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم الى ارواح سادات السلسلة
النقشبندية العلية ثم الى روح الامام الرباني مجدد الالف الثاني احمد السرهندي الفاروقي رضي الله عنه ثم الى روح الغوث
ذي الجناحين مولانا خالد السليماني رضي الله عنه ثم الى روح سيدي محمود النعلي(?) افندي رضي الله عنه ثم الى روح استاذنا
وفاتحة خواجه بهاء الحق والدين النقشبندي البخاري رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الله ، والحمد لله ، والصلاة على رسول الله محمد عليه أفضل ما يُصلَّى وأزكى ما يُسلَّم .

أما بعد ؛ فهذه « تبصرة المرشدين من المشايخ الخالديين »(١) .

قال الفقير المذنب أبو عبد الرحمان الخالدي : ما لزم على الشيخ في الطريقة الخالدية النقشبندية إذا جاء المريد الصادق في طلبه الاستخارة من الشيخ ؛ المراد في المنام أو اليقظة إن كان من أهلها أو من الطالب المريد ؛ إن لم يستخر قبل مجيئه ، أو من كليهما وهو الأحوط إلا إذا كان في الشيخ الكامل ما قام مقام الاستخارة على ما في « كنز الهدايات » نقلاً عن الإمام .

ثم إن علم الإذن والإشارة والبشارة بعد الاستخارة يعطي التوبة ويلقنها الشيخ ؛ بأن يقرأ الشيخ على المريد دعاء التوبة المعهود عند الشيخ عن السادات كما قرأ هو عند شيخه ، ثم يدعو الشيخ بعده والمريد يُؤمِّن دعاءاً معهوداً عنده من شيخه ، ثم

---

(١) وُجد قبل بداية النص في صحيفة مستقلة ما يلي:

عن أبي حفص ـ رضي الله عنه ـ أكثر فساد السالكين من ثلاثة فسق العارفين ، وخيانة المحبين ، وكذب المريدين .

وقال أبو عثمان ـ رحمه الله تعالى ـ : فسق العارفين : إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها ، وخيانة المحبين : اختيار أهوائهم على رضاء الله تعالى فيما يستقبلهم ، وكذب المريدين : أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب على ذكر الله تعالى ورؤيته ، والكل من رسالة القشيري رضي الله تعالى عنه ، شرح الطريقة المحمدية لأبي سعيد الخادمي رحمه الله تعالى .

وذلك تلقين خاص ، وبيعة مخصوصة ، من أهلها لأهلها كما مرّ ، ولذلك لم يبيّن النقباء المجتهدون والفقهاء العاملون تلقينات أهل الطريقة في باب مستقل ، إلا أن الطريقة والشريعة توأمان كالروح والجسد ، أحدهما لتحصيل كمال الإخلاص الذي هو العمل بالقلب ، والآخر لتحصيل أركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح ، فإن الروح بلا جسد ما له قيام ، وإن الجسد بلا روح ما له دوام وذلك أمر مشترك بين المكلفين من الرجال والنساء سليمان الزاهدي ص٩٤ .

يُعلّم كيفية الجلوس عند الشيخ أمامه . ثم يأمر برابطة الموت بأن يفرض المريد نفسه ميتاً وضع في القبر مع الكفن وبقي فيه فريداً لا ملجأ له إلا الواحد الغفار ، ثم يُعلِّم طريق رابطة الشيخ على نهج ما قرَّر عند نفسه من شيخه . ثم يؤمر بالوقوف القلبي بأن يتوجه إلى قلبه بكلِّيته ويلاحظ الله سبحانه على نهج ما آمن ويخرج من قلبه ما سواه ، ويقف كذلك على قدر الحضور فإن دام الحضور أدام الوقوف بقدر دوام الحضور لأن المقصود من الذكر هو الحضور ، ويدعو بالقبول بأن يقول المريد باللسان أو البال : يا رب اقبل هذا العبد المذنب بجاه السادات ؛ ساداتنا النقشبندية . ثم يُعلَّم الذكر باسم الذات من غير فرق بين مريد ومريد ؛ على ما اختاره إمامنا الإمام الرباني في الأخير على ما قرَّر في مكتوب العروة الوثقى الإمام محمد المعصوم الفاروقي رضي الله عنه وعنا ، ويُلقِّنه على قلب المريد ثلاثاً ، ثم يتوجه إلى قلبه على ما ذاق ووجد في نفسه على اقتضاء الوقت وحال المريد ، ثم يدعو الشيخ رافعاً يديه مع تأمين المريد ، ويقول المريد في آخر كل مائة في ذكر اسم الذات (إلٰهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) .

ويلزم أيضاً على المريد في ابتداء الذكر الاستغفار خمسة أو خمسة عشر أو خمساً وعشرين ، ثم الدعاء بالقبول ثم رابطة الموت ، ثم رابطة الشيخ على ما حرَّرت في بدء الرسالة وفي أول المراقبة أيضاً كذلك ، ثم يُعلَّم ترتيب الشغل اللساني ويؤمر بالاستغفار ، فيستغفر جالساً مستقبلَ القبلة في كل يوم قبل صلاة الفجر ؛ أو بعدها بعد الوضوء التام خمسة وعشرين في سعة الوقت ، ويقول في أوله (أستغفر الله العظيم) وفي البواقي (أستغفر الله) ـ بإسكان هاء لفظ الجلالة ـ ناظراً إلى قلبه الصنوبري ومراقباً إليه ، ثم بالصلاة على سيدنا وسيد البشر عليه الصلاة والسلام خمسة وعشرين أيضاً بنية طلب الشفاعة كأنه ينادي (يا رسول الله هذا عبدك الضعيف المذنب غرق في بحر العصيان فأخرجني بشفاعتك من هذا) وإن ضاق الوقت؟ يكفي خمسة في الاستغفار والصلاة ، ثم يقرأ سورة الفاتحة مرة وسورة الإخلاص ثلاثاً ، ثم يدعو بهذا الدعاء : اللهم تقبل منا قراءة كلامك المجيد وزده ثواباً ودرجة وبلّغ ثواب ما قرأنا إلى روح سيدنا وسيد الكائنات محمدٍ المصطفى ﷺ ثم إلى أرواح ساداتنا السلسلة النقشبندية العلية ثم إلى روح الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني أحمد السرهندي الفاروقي رضي الله عنه ثم إلى روح الغوث ذي

الجناحين مولانا خالد السليماني رضي الله عنه ثم إلى روح سيدي محمود الفِعَال أفندي رضي الله عنه ثم إلى روح أستاذنا وخاصَّته خواجه بهاء الحق والدين النقشبندي البخاري رضي الله عنه في الطريقة واجعله مقبولاً عندهم ، وأفض علينا من فيوضاتهم وأنزل علينا من بركاتهم . آمين بجاه النبي الكريم ﷺ ، ثم الاستغفار مائة على نهج ما سبق .

ثم إذا تحرك قلب المريد بالذكر وصار وصفاً لازماً ولا يقدر هو على إسكانه يلقّن الشيخ بهذا الذكر ـ أي ذكر اسم الذات ـ على لطيفة الروح فهو تحت الثدي الأيمن بأصبعين كما أن القلب كذلك تحت الثدي الأيسر مع رعاية الوقوف القلبي ، ثم إذا وقعت الحركة في الروح وصار حركة الذكر وصفاً لازماً كذلك يلقّن الشيخ أيضاً بلطيفة السرّ ـ وهي فوق الثدي اليسار بأصبعين ـ ثم عند لزوم حركة الذكر في السرِّ أيضاً يلقّن الذكر المذكور بلطيفة الخفي ـ وهي فوق الثدي الأيمن بأصبعين ـ ثم بعد اللزوم يلقّن بلطيفة الأخفى ـ وهي من وسط الصدر ـ فيما بين السرِّ والخفي ممتداً إلى ما شاء الله تعالى ، ثم يلقّن الشيخ بلطيفة النفس ـ وهي بين العينين والحاجبين ـ ، وأقل ذكر اسم الذات في غير المجذوبين في كل لطيفة خمسة آلاف ، ولا يترك ذكر القلب عند ذكر الروح ، ولا يتركهما عند ذكر السرّ ثم وثم يعني يجمع ذكر اللطيفة السابقة مع ذكر اللطيفة اللاحقة على أنه يتمُّ أولاً عدد ذكر القلب ، ثم يشرع في ذكر الروح ويتم عدده ، ثم يشرع في ذكر السرّ ويتم عدده أيضاً ، ثم الخفي كذلك ، ثم الأخفى ، ثم في النفس كذلك ؛ فصار المجموع ثلاثين ألفاً ، ثم إذا كمل الذكر المذكور بلطيفة الجسد على عدد يختاره المرشد على وفق حال المريد فحينئذ يترك ذكر اللطائف جميعاً فيذكر بجميع الجسد مع الوقوف القلبي ، فإذا أثر الذكر في الجسد كله يجري الذكر في جميع الجسد الكثيف فيكون كالقلب يتحرك بالذكر من أسفله إلى أعلاه حتى يصير كل جزء من أجزاء البدن ؛ وكل شعرة من شعراته ذكراً مثل القلب ويسمى هذا بسلطان الذكر .

مطلب مهم

ثم لا يخفى عليك أيها الأخ المنصف أن الوقوف القلبي بمعنى ملاحظة الواحد تعالى لازم في جميع ذكر اللطائف بل في جميع الأزمان والأماكن والأحوال حتى في

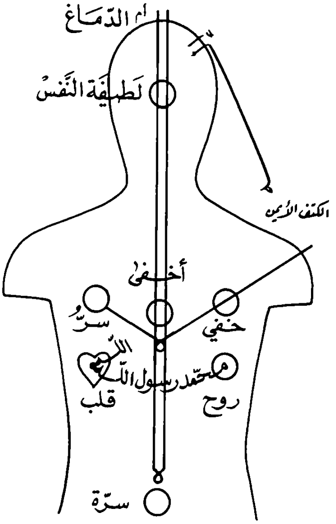
الحمام ووقت القربان وحتى في الكنيف وفي الخلوة والجلوة ، ولكن عند الناس بفتح العين ستراً للحال مع عدم خلوّ البال وهذا المعنى يحصل أولاً بالتكلف من الظاهر وبدون هذا المعنى الذكر قليل الجدوى بل لا يوصل إلى المقصود وهو غلبة المذكور واستيلائه وهي الذكر الحقيقي والمقصود الأصلي المعبَّر عنها تارة بالفناء وتارة بالعبودية إلى غير ذلك من العبارات كما هو المذكور في كتب القوم .

ثم **اعلم** أن الذكر كما ينتقل بنقل الشيخ كذلك ينتقل بقوة الذكر وهو الأفضل والأكمل فإذا كان في الشيخ قوة التصرف وكان المريد قابلاً واردا على محبة الشيخ المُقتدىٰ يحصل سلطان الذكر بأبلغ الوجوه في أول التوجه كما علم هذا في بعض مشائخ الزمان ، والشيخ إذا كان ذا بصيرة واطّلاع على حال المريد فهو ينظر إلى حال المريد ويعمل على وفق حاله فيأمر بالذكر في جميع اللطائف ويأمر أيضاً بالنفي والإثبات في أسرع وقت حتى بالمراقبة بعضاً ؛ بل جميعاً في زمان قليل فيُصدّق من هو من أهالي البصيرة وينكر من هو أعمى ليس على البصيرة وفي التنزيل **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾** .

وأما إذا لم يكن الشيخ ذا علم وبصيرة غير مطَّلع على حال المريد وهو لا ينافي كمال الشيخ وإكماله وإرشاده ، لأن الإرشاد عند الطريقة النقشبندية بطريق الانعكاس كما صرّح به إمامنا الإمام الرّباني في مكتوباته في مواضع عديدة لم يستعجل في نقل الذكر والمراقبة إلى ما فوقه فيخلّ قابلية المريد فيحرم من الوصول أو يتأخر فيلزم لهذا الشيخ حضانة الطالب في الذكر أو في المراقبة أو في المقام مقدار سنة أو ستة أشهر بقابلية الطالب واجتهاده إن آثر أمر السلوك على سائر الأمور ، وإلا آثر أمور الدنيا على السلوك فكل ذكر وكل مقام هو فيه يكفيه مع أنه يخاف عليه أن لا يحفظه كل الحفظ فلا حاجة إلى الزيادة والانتساب إلى النسبة العلية إن حفظه يكفيه فقط كما قال شيخنا في بعض رسائله إلى هذا الفقير .

ثم نرجع إلى ما نحن بصدده ؛ متى حصل للطالب سلطان الذكر يلقّن الشيخ له بالنفي والإثبات على نهج ما وجد في نفسه وعلم وهو الموافق المطابق لما في كتب ساداتنا السادات النقشبندية كالمكتوبات للإمام المعصوم والراسلة لمولانا خادمي والرسالة المسماة بسلسلة الذهب لمولانا القطب الرباني والعارف الغوث الصمداني

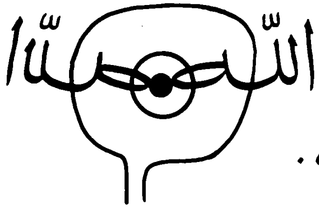
الشيخ محمد مراد رضي الله عنه خليفة العروة الوثقى محمد المعصوم رضي الله تعالى عنه وشرحه « تحفة الأحباب » و« جامع الأصول » للشيخ ضياء الدين القسطنطيني رضي الله تعالى عنه وغيرها وهو ـ أي طريقة الذكر فيها ـ أن يلصق لسانه الحنك الأعلى،وتوضع الأسنان على الأسنان والشفة على الشفة ؛كما في ذكر اسم الذات ، ويحبس النَّفس تحت السرة ويسيِّر كلمة « لا » من السرة إلى الدماغ.وكلمة « إلٰه » منه إلى الكتف الأيمن،ويضرب كلمة « إلا الله » منه إلى القلب الصنوبري فيصير نفس المجموع على صورة « لا » معكوسة ،



ويجري الكلمات المذكورة من محلٍّ إلى محلّ بمجرد الخيال حتى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، ويكون النَّفَس محبوساً تحت السرَّة ولا يزال بتكرار الكلمة المذكورة ما دام النفس محبوساً ولا بدَّ من أن يكون عدد الذكر وتراً ، ولذا سُمي هذا الذكر « وقوفاً عددياً » . ثم إذا ضاقت يترك الحبس ويقول إلٰهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي مرة . ثم يحبس ويذكر كما مرّ ثم كذا ثم كذا ويتصور معنى هذه الكلمة بهذا الطريق : لا مقصود إلا الذات المقدّس ، أو : لا مقصود إلا الله تعالى ولا يتضيق في حبس النفس للتكثير ولا يتحرك أعضاؤه وهما ينافيان في حصول الأثر ، وإن زاد وكثر بلا تكلف وبلا منع الحضور كثر وازداد ، حتى روي في البعض أنه بلغ في نفس واحد إلى واحد وألف ؛ كما في تحفة الأحباب ، ونحوه وجد في بعض فقراء الزمان مع كمال القبض في الأول ، ويكرر إلى أن يبلغ العدد في نفس واحد إلى أحد وعشرين فحينئذ يضم : محمد رسول الله ﷺ في كل آخر النفس ؛ مبتدئاً ميم « محمد » من الروح وينتهي إلى القلب على ما اختاره شيخنا قدس الله تعالى سرّه الأسنى ، وإلا فيه أقوال كما في كتب القوم .

قال شيخنا روّح الله تعالى روحه الشريف في بعض رسالته إلي : يكثر التكرار

حتى تصل «ها» لفظ الجلالة إلى النقطة الواقعة في وسط القلب وذلك النقطة موضع الفتوح والبصيره ومقام الحضور ومنبع السرور والمشاهد والتوحيد وباب القلب الحقيقي وموضع المعنى ، وفيه قلب القلب متى ينفتح القلب ذلك النقطة يُظهِر القلب البسط ثم يفعل الله تعالى ما يشاء .



فاللازم على الطالب أن يجتهد بالحضور إلى الذكر موافقاً لما قرّرنا إلى أن يصل الذكر إلى أحد وعشرين ، ثم يُلاحَظ في القلب ألمٌ يظهر ثمرة الكلمة الطيبة قائلاً (إلٰهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) متوجهاً كالمحتضر إلى الذات البحت ، ويفرض ذلك الطالب نفسه بأنه دخل في هذا الذكر والملاحظة إلى بيت خالٍ عن جميع ما سوى الله تعالى ووجَّه وجهه إلى حضرة الذات مقصوداً ونسي جميع الموجودات ونفسه أيضاً . وأول هذه الأحوال بالشعور والإرادة ، ثم بقوة الذكر بلا اختيار ، ثم تكون مَلَكة فيلزم أن يجتهد إلى أن تكون ملكة . انتهى كلامه .

قالوا : وإن بلغ العدد إلى إحدى وعشرين ولم تظهر النتيجة؟ فبما وقع من الخلاف في الآداب فليستأنف وليطابق القول والفعل مضمون الذكر فإن المقصودية فيما سواه إذا كانت باقية، وخلاف الاتباع إذا كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب من الذاكر في ذكره بلا إلٰه إلا الله ؛ كما في «سلسلة الذهب» .

وقال الإمام الربّاني ـ رحمه الله تعالى ـ : يرتفع النقصان بتوجه الشيخ المقتدى ، ولذا قال شيخنا ـ رضي الله تعالى عنه ـ : وهذه الحالة تعرض للطالب بكلمة التوحيد أكثرياً ، وبذكر لفظ الجلالة في البعض وبالرابطة للبعض وبتصرف الشيخ للبعض . انتهى كلامه اللطيف . والنتيجة والأثر مختلفة باختلاف مشارب الطالب واجتهاده وإقباله ، ولذا نذكرها على نهج اختلافها في بيانها ، وإذا ظهرت النتيجة وهي الحضور والذهول والنسيان والاستهلاك والانمحاء والاستغراق والسكر والغيبة .

فيعَلِّم الشيخُ طريق **مراقبة الأحديّة** ، والمراقبة هنا عبارة عن انتظار الفيض من الواحد الغفار ، وملاحظة وروده إلى مورده ، وهو لطيفة من لطائف السالك ، وعينوا لكل مقامٍ مراقبة من المراقبات ، فعينوا لدائرة الإمكان مراقبة الأحدية ، وهي عبارة عن تجريد القلب عما سوى الله تعالى ، متوجهاً إلى الله تعالى ، وانتظار ورود الفيض من الله تعالى على لطيفة قلبه ، فإن دام الحضور والتجرد والاستغراق فدُم على ذلك ، وإن وقع الوسوسة والخطرات فادفع بأحد الأمور المذكورة آنفاً في كلام شيخي من تكرار الكلمة الطيبة والرابطة ونحوهما مما هو مذكور في كتب القوم أيضاً .

ثم اعلم أيها الأخ الأعز بعد إتمام سير دائرة الإمكان يُعلِّمُ الشيخ **بمراقبة المعية** ، فإنهم كما يأمرون في دائرة الإمكان بمراقبة الأحدية ؛ كذلك يأمرون بعدها بمراقبة المعية ، وتمام سير دائرة الإمكان يعرفه السالك إن كان له كشف ، أو يخبره الشيخ إن كان هو صاحب كشف وبصيرة ، وإلا فينبغي أن يلاحظ السالك جمعية قلبه ، فإن بلغ انتفاء الخواطر أوقاتها إلى أربع ساعات كاملات فحينئذ يشرع في مراقبة المعية هكذا قال بعض الأفاضل . قال في « الأنهار الأربعة » : وإذا حصل الحضور والجمعية للقلب بحيث يبلغ انتفاء الخواطر عنه إلى ساعتين فذلك عند البعض علامةٌ لتمام دائرة الإمكان ، وقال بعضهم : علامته رؤية الأنهار . انتهى كلام الأنهار » .

ثم يُعلِّم **بمراقبة القلب** على نهج ما حررت ، فصفاء القلب بظهوره بالنور الأحمر في عالم المثال ، وكماله بتجلي الصفات الفعلية ، فحينئذ يضمحل كسب العبد لظهور خلق الخالق سبحانه على كسبه كاضمحلال نور السراج عند ظهور نور الشمس ، أو كاضمحلال نور النجوم عند ظهور نور الشمس على تفاوت كمال القلب ، فالقلب تحت قدم أبينا المشفق حضرة آدم عليه السلام صفيّ الله ، وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم **بمراقبة الروح** ، وصفاؤه بظهوره بالنور الأصفر في عالم المثال عند البعض ، وبالأحمر كما في المكتوبات ، وكماله بتجلي الصفات الثبوتية ، فحينئذ لا يضيف العبد كمالاته إلى نفسه ؛ بل إلى الله تعالى ، فيأمن من العجب ونحوه من المهلكات ، فالروح تحت قدم إبراهيم عليه السلام خليل الله عليه الصلاة والسلام ،

ونوح عليه الصلاة والسلام يشاركه ، وولايته منسوب إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ثم **بمراقبة السرّ** ، وعلامةُ صفائه ظهورُه بالنور الأبيض ، وكماله بتجلي الشؤنات الذاتية ، ثم يرى السالك في عالم المثال نفسه على صورته ؛ كما في مكتوبات الإمام الرباني رحمه الله تعالى . حتى قال البعض من أهالي الكمال : إنه تجلي الذات كما في الفتوحات ، وهو تحت قدم موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام .

ثم **بمراقبة الخفي** ، وصفاء الخفي بظهوره بالنور الأسود ، وكماله بتجلي الصفات السلبية ، ثم يكمل تنزيه العبد لله تعالى ، وهو تحت قدم عيسى روح الله عليه وعلى نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم **بمراقبة الأخفى** وصفاؤه وظهوره بالنور الأخضر وكماله بتجلي الذات سبحانه ، ويؤيده ما ورد في الأخفى أنا كما في المكتوبات .

فحينئذ يصير السالك متخلقاً بأخلاق الله تعالى على ما قال البعض ، وهو تحت قدم نبينا ﷺ ، وولايته منسوب إليه عليه الصلاة والسلام ، ويقال لصاحبها محمدي المشرب ، فالكل في سير الولاية الصغرى .

ثم بعد ذلك ينظر الشيخ بدقة النظر إلى حال المريد هل يقدر لرعاية آداب الولاية الكبرى ؟!

مطلب

فإن آداب الولاية الكبرى أدق من آداب الولاية الصغرى على ما قالوا ، حتى قال شيخنا ـ جزاه الله عنا خيراً ـ عن بعض السادات أنه ما يخرج الدرويشان إلى سير الولاية الكبرى تعليلاً بأنهم لم يراعوا آدابها فيسقطون منها ، فحينئذ يُعلّم سير الولاية الكبرى ، فدائرة الولاية الكبرى متضمنة ـ على ما قالوا ـ الدوائر الثلاثة ، وقوسي الأولى دائرة الأقربية ، ويأمر فيها بمراقبة الأقربية ، ويعلّمها ، والثانية دائرة المحبة والثالثة دائرة المحبوبية ، والقوس نصف دائرة قاب قوسين ، ويعلّم الشيخ في هذه الثلاثة مراقبة المحبة على نهج ما قرّرت ، ومورد الفيض في الكل بالذات لطيفة النفس ، ثم بواسطتها سائر اللطائف ، فحينئذ يحصل كمال النفس ، وهو بعد كمالها يجلس سرير الصدر .

وكيفية المراقبات غير المراقبة الأحدية مسطورة في رسالتنا ، وهي في يد كل من صنّف هذه الرسالة لأجله موجودة ، ولهذه العلة هذا الفقير عن كتابتها في هذه الرسالة معذور .

وقال البعض في رسالته : وعلامة قطع بعض الدائرة وتمامها هي أن الدائرة تنكشف للسالك كقرص الشمس ، وكلما قطع من الدائرة شيء فعلى قدره يكون لها الظهور بالنورانية بكمال الشعشعان ومقدارها الذي لم يقطع يعلم ، فإنه يرى بلا نور كالشمس في وقت الكسوف . انتهى .

وقد ظهر لبعض المحبين الدوائر الثلاث والقوس جملة بكمال الشعشعان ، وقد تعجب منه شيخه بعد القصة .

ثم علامة تمام الولاية الكبرى أن معاملة فيض الباطن التي كانت تتعلق بالدماغ هي تتعلق بالصدر ؛ لانتقال مورد الفيض في الدماغ ، حينئذ منه إلى الصدر ، واطمئنان النفس والإسلام الحقيقي والارتقاء إلى مقام الرضاء على ما بيّنوا في كتبهم ـ قدس الله أسرارهم ـ .

قال إمامنا الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في الإحياء : فإن المحبّة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها ، وتابع من توابعها ، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدّمة من مقدّماتها . انتهى كلامه .

ثم اعلم أن السير في الولاية الكبرى السير في الاسم الظاهر وهو جناح واحد ، فلا بد من تحصيل جناح آخر للطيران وهو السير في الاسم الباطن الذي هو ولاية الملأ الأعلى المسمّى بالولاية العُليا ، وعيّنوا فيها مراقبة واحدة والترقيات بالأصالة في هذا السير للعناصر سوى التراب ، والتراب تابع لها في السير ولكن لا يتأخّر عنها ؛ كما في الرسالة المدنيّة .

ومورد الفيض في هذه الولاية بالذات للعناصر سوى التراب أيضاً ، وفيها : ارتكاب الرخصة ينافي التّرقي لتقوية طرف البشرية ، بل التزام العمل بالعزيمة يفيد الترقي لتقوية طرف الروحانيّة والملكية .

ثم بعد ذلك إذا وقع السير يتشرّف السالك بكمالات النبوة ، ثم بكمالات الرسالة ، ثم بكمالات أولي العزم وهي التجلي الذاتي الدائمي ، وهو على ثلاثة مراتب ، وعيّنوا لكل واحد منها مراقبة على حدة .

ثم مورد الفيض في كمالات النبوة عنصر التراب ؛ وإن كان للبواقي حظٌّ منها بالتبعية ، ومورد الفيض في كمالات الرسالة وكمالات أولي العزم الهيئة الوحدانية الحاصلة للسالك في هذا المقام من مجموع عالم الأمر وعالم الخلق .

ثم بعد ذلك إن تيسّر التسليك بسلك الشيخ الطالب إلى أحد الطرفين أياً شاء ؛ **أحدهما** : طرق الحقائق الإلهية وهي حقيقة الكعبة ، وحقيقة القرآن ، وحقيقة الصلاة ، وعيّنوا لكلٍّ مراقبة على حده . **وثانيهما** : طرف الحقائق الأنبيائية ؛ وهي الحقيقة الإبراهيمية ، والحقيقة الموسوية ، والحقيقة المحمدية ، والحقيقة الأحمدية ، ولكلٍّ أيضاً مراقبة على حدة على ما قالوا ، ثم وثم إلى ما شاء الله تعالى .

والله أعلم بالصواب ، والحمد لله الملهم للحق والصواب ، والصلاة والسلام على خير خلقِهِ محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بعدد كل شيء إلى يوم الحساب .

تمَّ بيد مَن أخلاقه كلها أخلاق الذمائم ، ونفسه نفوس البهائم ، والله سبحانه وتعالى قادر لتبديل الذميمات إلى الحميدات ، حقيراً لله ، فقيراً لله ، شعيب الباكني في ٢١ من شوال المعظم سنة ١٣٢١ .

اللهم اجعله مع إخوانه من أهل الترقي يوماً فيوماً ، واجعل يومهم خيراً من أمسهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في حجرة الجامع الدناجية الجرواخية .

ومن وصيّة مولانا ـ قدس سره ـ الإخوان لا ينزلون إلا على إخوانه في السفر ، فإن لم يمكن فيعتذر له حينئذ ، فقال سيدي الشيخ سليمان ـ رحمه الله تعالى ـ : فجاء الشيخ أحمد الكربوزي خليفة مولانا خالد ـ قدس سره ـ متولّياً لمدرسة محمد باشا، وبعد مدة من دخوله إلى مكة، أرسل الخبر للشيخ عبد الله أفندي : نحن من الإخوان جئنا والقادم مزار! ـ أي بسبب ذلك ما جاءنا ـ فقال الشيخ للرسول :

صحيح قوله « القادم » ، ولكن وصيّة حضرة مولانا : الإخوان لا ينزلون إلا على إخوانه ، لا عذر له فيه عن ترك وصية حضرة مولانا .

وعن سيدي الشيخ إسماعيل البروسوي ـ رحمه الله تعالى ـ عن الشيخ عبد الله الهروي قائم مقام الثاني لحضرة مولانا قدس سره قال حين سئل عن الرابطة قال : الحضرة إلى روحانيتي أولى .

وكذلك عن سيدي الشيخ عبد الله الرابطة إلى حضرة مولانا أولى ، ونهى الحضرة عن بعض خلفائه حين سمع أنه استعمال الرابطة لنفسه نهياً شديداً ،

والشيخ إسماعيل ـ قدس سره ـ قائم مقام الأول ، والشيخ عبد الهروي قائم مقام الثاني لحضرة مولانا ما استعملا الرابطة لأنفسهم ؛ تأدباً مع حضرة مولانا ـ قدس سرهم ـ وهما العمدة . (من هامش نهج السالكين لسليمان الزهدي) .

والرابطة إلى روحانية مولانا ـ قدس سره ـ أنفع من جسمانيته وشكله الشريف . (من هامش صحيفته) . .

صورة الرابطة

والرابطة ثابتة بأدلة أربعة ، روحانياً كان أو جسمانياً في الوسائل المخصوصة ، لكن الأقرب للمبتدئين رابطة جسمانية الكامل المكمّل بسلوك القوم المأمور بالإرشاد ؛ ولو كانت روحانية المرشد أقوى للمنتهى ، فإن للمريد بالجسمانية مناسبةً تامّة في كثير من الأحوال ، ولذا قيل : الثعلب الحيّ أولى من الأسد الميت ، حين سئل وهي أن يلاحظ ركبة بركبة ، وجبيناً بجبين ، إلى أن يفنى وجوده بوجوده ، وقلبه بقلبه ، حتى يصير إقباله إلى الله تعالى كإقباله إليه .

نرفع سؤالاً إلى مرشدنا ومولانا فيما جرى في بلادنا الجاوى وهو : هل يصحّ الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى من الطرق المشهورة المأثورة ؟ وكذا هل يجوز الرقص والسماع في الطريقة الخالدية النقشبندية ؟ إلخ .

اعلم أن الطرائق المشهورة المعنعنة الواصلة من السلف إلى الخلف كالمذاهب الأربعة المقبولة ، يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر مطلقاً من غير تلفيق للعاميّ ، وكذلك الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى بشرط الوفاء فيما دخل فيه ،

والاستقامة بآدابه ، ولكن يجب على الإنسان دخول طريقة سالمة عن البدع المنكرة ، وتابعةٍ للسنّة السنيّه .

أما الرقص في الطريقة الخالدية النقشبندية لا يجوزونه أصلاً إلا تحريك إصبع بالسبحة في حالة الذكر . ا . هـ نقل من مجموع الرسائل .

مطلب مهم جداً

وعمل مشائخنا الخالدية في مكة المكرمة يلقنون الذكر للنسوة التي يعرفن آداب الطريقة لا الشابة وأهل الهوى منهن ؛ من وراء الستارة ، أو بواسطة المَحْرَم من أحدهما ، بلا خلوة صحيحة ، وتعليمات المشكلات لهن كذلك ويشتغلن الذكر الملقّن لهن في بيوتهن بعد قضاء حاجة زوجها ، وخدمة بيتها وأولادها ، ولا لهن جمعية ختم خواجكان.

سليمان الزهديّ الخالديّ المجددي

النقشبندي المجاور ببلد الحرام ص٩٤ .

وما سئلتم عن عبارتنا « لا الشابة » نعني بها : لا يلقّنون الذكر للنساء الشابة ، تعرف مراعاة الأدب أولا ، ولا يلقّنون لأهل الهوى منهن كذلك ، ومعرفة الآداب ليست سبباً للعمل ، وسبب العمل بما عرفه التوفيق من الله تعالى على جري العادة ، وشبيبة الشابة وهوى أهل الهوى مانعة للتوفيق غالباً ، حتى تزول هوى النفس وشبيبة الشابة ، وترجع النفس إلى طلب المولى حينئذ ينفع التلقين لها .

والحال أن مولانا خالد ـ قدس سره ـ جدّد الأصول ، وقرّب السير ، ويسّر الأمور ، وأيّدها باتباع الكتاب والسنة ، والعمل بموجب المذهب من المذاهب الأربعة المتفق عليها ، وهو إمامنا وحجتنا ، ولا يضرّ علينا إطلاق القول عن بعض السلف ، وهو مقيّد في مذهبه في حق النساء ، بل هو نهى عن التلقين للأمرد الصبيح من الرجال فضلاً عن النساء الشابة . سليمان الزهدي ص٩٤ .

مطلب مهم

هذه حادثة الحال لبعض الخلفاء مَنْ ترك أمر الإرشاد في بلدة بلا عذر ، واستقام غيره فيها سنين حين ترك الأول ، أفيدونا كيف الحال ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليّه ، والصلاة والسلام لنبيّه وعلى آله .

وبعد ؛ ربّ زدني علماً وهيّىء لنا من أمرنا رشداً ، نعم والحال ما ذكر فإن ترك المأمور به من غير عذر مع وجود الطالب نقض العهد ، وتخلّف البيعة ، وهو مسقط السابقية ، بل مسقط المأمورية بالإرشاد ، فليتدارك المبتلى إلى تحصيل منزلته الأولى بالملازمة إلى المرشد المأمور به ، وإذا حصّل منزلته الأولى لم يحصل السابقيّة له ، فيتبع لمن سبق عليه في حال فترته وذلك غنيمة له ، فإني سمعت عن سيدي الشيخ سليمان عن سيدي الشيخ عبد الله خليفة مولانا خالد ـ قدس الله تعالى أسرارهم العليّة ـ قال :

وصل خبر بعض خلفاء حضرة مولانا الذي هو مأمور بالإرشاد في بعض البلاد ؛ أنه كتب الإجازة لبعض مَن ربّاه ، من غير استئذانه من مولانا خالد ـ قدس سره ـ حين سمعه ، أراد حضرة مولانا أن يطرده من الطريقة العليّة مرة واحدة ، واستشفع بعض خلفاء حضرة مولانا ـ قدس سره ـ لكمال علمه ، وجلالة منزلته ، وقبل الحضرة ، وكتب بأن لا يشتغل بالإرشاد ، وما حصّل من الطريقة العلية كفاية لنفسه ، والعبد الوهّاب المطرود المشهور طُرّد لأجل بعض الدسائس على حضرة مولانا ـ قدس سره ـ ، والشاه النقشبند والشيخ عبيد الله الأحرار ـ قدس سرهما ـ طرداهم لأدنى شيء كما في « الرّشحات » و« المراعات » ، والتأدب مع روحانيتهم أولى وأحق كما كان في حياتهم بإشارة قوله تعالى ﴿**فالمدبّرات أمراً**﴾ أي النفوس الفاضلة ، فسّر بذلك القاضي وغيره ، وترك التأدّب معهم في حالتيهم يفضي إلى هذه الحالات فلينتبه البصير ، الله حسبي ونعم النصير .

كتبه ببنانه المسكين المستهام : سليمان الزاهدي الخالدي المجدّدي المجاور ببلد الله الحرام في عام رقطغ . تمت ص٩٦ .

هذه نصيحة لمن يؤذي على أهل الاستقامة بالغواية والطغيان .

باسمه سبحانه

من الحقير القليل المقترف الذليل إلى أخيه الحبيب الشيخ محمد طبيب ، عسى الله تعالى يطيّب حاله ومآله بطلب التوبة وريحان الاستقامة . آمين .

فالبادي تسطيراً لألوكة الحقوق القديمة ، والنصيحة الشريفة للإخوة كما أمر لنا ساداتنا بالنصيحة للأصاغر والأكابر ، واتباعاً لقوله ﷺ : « الدين النصيحة ، لله وللرسول ﷺ » .

يا أخينا قد أقمت في المكة المكرمة مدّة ، وحضرة حلقة السادات الكرام والختم خواجكان والتوجّهات عندنا ، ولكن ما حصل منك الدوام وكثرة اشتغال الذكر مثل سائر الإخوان ، وقلّة المبالاة منك في آداب الطريقة العلية ، وصار ذلك سبباً لتركك حلقة السادات عندنا ، ووصولك إلى المنكرين والمطرودين عن طريقتنا ، والمتشيخين المرتسمين في مكة المكرمة ، ثم أعطى المتشيخ المطرود لك الإجازة ، ثم وصلت إلى بلاد جاوى ، وكنت تريد التشيخ مثله ، وتؤذي على أهل الحق والاستقامة ، وهذا العمل منك لا يرضي الله تعالى ولا رسوله ولا سادات الطريقة العليّة ، وكنت ضالاً ومضلاً على الناس ، كما كان المتشيّخون المطرودون هنا لولا وصولك أولاً عندنا ، فما بيّنت لك هذه النصيحة والإمام الذي أخذ طريقة التشيّخ من عند المتشيّخ ولا أنصح له فإنه بعيد عنّا لا نعرفه ولا يعرفنا ، لأن الباطل لا يسعد ، والحسود لا يسود ، والواجب عليك التوبة النصوحة عما فعلت ، والرجوع عما جرى ، والدخول إلى طريق التربية والوصول إلى رضاء الله تعالى بيد المرشد المأمور بيد صحيحة مثل الشيخ عمر والشيخ عبد الحليم والشيخ عبد الوهّاب هناك إن لم تصل إلى مكة المكرمة .

مطلب مهم جداً

وإن لم تفعل ما أمرت لك من طرق السادات فانتظر العقوبات الدنيوية والأخروية ، لأن الله تعالى غيّور يحارب من خالف على أوليائه ، وينتقم على من غيّر طريق وصوله إليه ، أيّ ظلم أكبر من هذا الظلم فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون . والسلام من سليمان الزاهدي .

من مكتوبات حضرة مولانا الشيخ خالد ـ قدس سره العزيز ـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

من العبد الساعي في هلاك نفسه ، المتلهّي بشغل يومه عن جزاء غده وذنوب

أمسه ؛ خالد إلى مخاديمه : السيد عبد الغفور ، والملاّ محمد جديد ، وموسى الجبوري :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ؛ فأوصيكم وآمركم بالتأكيد الأكيد بشدة التمسك بالسنة السنية ، والإعراض عن رسوم الجاهلية والبدع الرديّة ، وعدم الاغترار بشطحات الصوفيه ، وترك تصحّب عوام المسلمين أو باشا ، بالترجي لهم عند أمير أو وزير أو باشا ، لأنه ينجر إلى اتهامكم بما يشين ، وإذا تعارضت القشرتان فارتكاب أهونهما لازم ، والسعيد من اتعظ بغيره فلا يولينكم أن قضاء حاجة الإخوان من أعظم العبادات ، لأنه مخصوص بما إذا لم يتولّد منه ما هو أكبر منه ، ولا تتدخلوا مع الملوك والأمراء والأعوان وأعوانهم فإنكم لستم ممن له قوة إصلاح هؤلاء ، ولا تغتابوهم ولا تسبّوهم بطراً وغروراً ؛ بزعم أنهم ظلمة وهم صلحاء ؛ فإنه عجب وجهل ، إذ ما منا أحد ليس بظالم ، بل عليكم بالدعاء لولي الأمر وأعوانه بالتوفيق والإصلاح ، فقد روى الطبراني في معجمه الكبير والأوسط بإسناده أنه ﷺ قال : « لا تسبوا الأئمة وادعوهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح » انتهى .

ولا تُدخلوا الطريقة بعد هذا اليوم أحداً منهم ومن أعوانهم ، ولا من التجار المتفكهين بالدنيا والمنهمكين في الشهوات ولا من العلماء وطلبة العلم الذين جعلوا العلم وسيلةَ الجاه عند الناس وجمع الحطام ، ولا من البطّالين الذين يستندون إلى الطريقة بسبب البطالة ؛ فيحملون أثقالهم إلى رقاب الناس باسم الصلاح والإرادة ، ولا من الذين إذا تيسّر لهم رتبة من مناصب الدنيا وثبوا إليها وثبة النمر ، وقد كانوا يغضبون إذا تساوى بهم أحدٌ من الخلفاء ؛ فضلاً عن غيرهم من المريدين ، ولا من الذين يريدون الخلافة ليشتهروا لما رأوا أن بعض الناس صارت لهم الشهرة وجمع الفلوس بسبب الخلافة .

واعلموا أن أحبّكم إليّ أقلُّهم أتباعاً وعلاقةً بأهل الدنيا ، وأخفكّم مؤنة ، وأشغلكم بالفقه والحديث . وقد ورد في بعض الحديث : « ما ازداد رجل من السلطان قرباً إلا ازداد من الله تعالى بعداً ، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ، ولا كثر ماله إلاّ كثر حسابه » . وحينئذ لم يبق وجه الميل إلى تكثير السواد بهؤلاء

إلى الطمع والشهرة والجاه ، وأخذ الدنيا بالدين ، وجميع هذه النيّات فسادها غني عن البيان ولا يخدعنّكم الشيطان بأنّ فائدة الخلافة وقدرة القاء الجذبات وإيصال النفع إلى الخلق ، وبأنكم إذا كثرت أتباعكم ما تيسّر لكم الختوم القرآنيّة كل يوم ، لأني تركت لكم الطلاب الصادقين ، والذين لا يتّصفون بشيء من الذمائم المارّة ، وهم وإن كانوا نادرين لكن واحداً منهم أحسن من ألوفٍ من البطّالين ،

مطلب مهم جداً
في تلقين الذكر للنساء

وختم القرآن يكفيه نحو ثلاثين مريداً ، مع أنه يمكن بالمخلصين من الجيران ، وإن لم يتيسر فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

ولا يغرنّكم تردد النساء إلى بيت عبيد الله أفندي للتوجه ؛ فإنه لخروجه عن الطريقة ودخوله فيما دخل بطوعه صار له هبوط عظيم .

وسادة هذه الطريقة لا يُتَلاعب بهم ، وأمر عبيد الله المذكور بسبب وقوع اسم الخلافة عليه ، ورغم كونه أقدم من غالب الخلفاء لا يشبه أمر الذي دخل في الطريقة وهو من أهل الدنيا ، ولا الذي لم يدخل وهو من أهل الدينا من المحبّين كأخيه المرحوم طاب ثراه .

أئمة هذه الطريقة طردوا المريدين بأدنى انصراف بعد الإرادة ؛ فضلاً عن الخلافة ، فراجعوا إلى الرشحات عند ردّ إمام الطريقة بهاء الدين النقشبنديّ وعبيد الله الأحرار ـ رضي الله تعالى عنهما وعنا آمين ـ بعضَ من استأذن للحج ؛ أو قَبِل التدريس في المدارس من المريدين .

فإن خالفتم فلستم على عهدي وأنتم تعلمون ، ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون**﴾ . انتهى .

من هامش بهجة السالكين لسليمان الزاهدي رحمه الله تعالى

من مكاتيب مولانا خالد ـ قدس سره ـ :

الحمد لله بجميع محامده عن جميع خلقه ، ما علمناه وما لم نعلم ، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ؛ فلقد ورد مكتوبكم وأمال إليكم قلوب الفقراء بعض الإمالة ، ووصلت إلينا شهرة اهتمامكم بترويج طريقتنا التي هي لبّ الشريعة ، فزادكم هذه عندنا خطراً وجلالة ـ جزاكم الله تعالى في الدارين دراً وخيراً ، وحفظكم ضراً وضيراً ـ .

اعلموا أن الثبت بالكشف الصحيح والوجدان الصريح عند جهابذة الكشف والشهود ، وبذلة الروح ونقاد الوجود أنه أجلّ السعادة وأفضل العبادات بعد تصحيح العقائد عن شبهات أهل الفساد ، والقيام بالفرائض على مذهب أحد الأمجاد ، والمواظبة على الذكر الخفي مع دوام العلم بأنه سبحانه وتعالى يراك وإن لم تكن تراه ، ولا يغيب عنه مثقال ذرة ، حاضر عند متقلّب عبيده ومثواه ، ولا أريد العلم التقليدي فإنه يكون في بعض الأحيان فيشترك فيه أهل البدع والإحسان ، وأرباب الكفر والإيمان ؛ بل المراد المأخوذ من أئمة المشاهدة بالوجدان ، وهو يحصل على طريق جري العادة ؛ إما بترك الكل وارتكاب المجاهدات الشاقة والخروج عن جميع الزخارف ، وإما بالعمل قلباً وقالباً بأهل المعارف ، ولا سيما من خلفاء هذه الطريقة قدس الله أسرار مواليها وأمدّ في الدارين مَنْ جدّ تكثير أهاليها .

مطلب

فإنهم قد يكون أناس بعون الله تعالى بدولة الشهود بالهمم القاهرة لو كانوا منقلبين على الفرش الممتدة والثياب الفاخرة بشرط كمال الإخلاص واتباع السنة ، وترك البدع ، والإعراض القلبي عن متاع الذليل ، والميل إلى نعيم الآخرة عليه حمله كثير من الأولياء العلماء ما رواه أبو سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ : « ليذكرنّ الله عز وجل أقوام في الدنيا على الفرش الممتدة ، يدخلون الدرجات العلى » ، فهذا الحديث الشريف دليل على صحة ما عليه السادات النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، وأفاض علينا أنوارهم البهية ، ومن لم يوفّق أحد الأمرين فحقّ له البكاء على نفسه ، لله درّ القائل :

على نفسه فليبكِ مَنْ ضاع عمره ... فليس له منها نصيب ولا سهم

فعليكم على قدر المقدور بالاعتناء بالأذكار الخفيّ ، والاستمداد من سادات هذه السلسلة السنّية ، ولا يصدنّكم عنها ما تم من المراتب العلية ، فقليل هذه الطائفة

كثير ، وضعيفهم عند الله جليل وخطير ، وقطرتهم تدري بالبحر فضلاً عن الغدير ، من يقول :

قليـــل منـــك يكفينـــي ولكـــن قليلـــك لا يقـــال لـــه قليـــل

فحسبنا الله ونعم الوكيل ، انتهى . من هامش نهج السالكين .

وصية حضرة مولانا خالد ـ قدس سره ـ بكتاب لخليفته في مكة المكرمة سيدي الشيخ عبد الله ـ قدس سره ـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد ؛ فأوصيك بتقوى الله تعالى وطاعته ، وتركِ إيذاء الناس ولا سيما في الحرمين الشريفين ، ولا تغتب أحداً وإن اغتابك ، ولا تأخذ من أحد لنفسك من حطام الدنيا ، إلا أن يحكم بأخذه الشرع فخذه واصرفه في سبيل الله ، ولا تتفكّه بصرفه في الشهوات وإخوانك المؤمنون جماعة محتاجة عياله ، ولا تكذب ، ولا تحقر أحداً ، ولا تعتقد نفسك فوق أحد ، وابذل جهدك في العبادة القلبيّة والبدنيّة ، واحسب أنك ما عملت خيراً ، وأخلص نيّتك إن النيّة روح العبادة ، ولا نية بلا إخلاص ، ولا إخلاص أكبر منك فضلاً عنك ، وأنا والله لا أعتقد أني عملت خيراً منذ ولدتني أمي وأنت تعتقدني خيراً منك ، فإن لم تجدك مفلساً عن كل خير فهو غاية الجهل ، فإذا وجدتك مفلساً فلا تقنط لأن فضل الباري تعالى خير للعبد من أن يكون له عمل الثقلين **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيراً مما يجمعون﴾** قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : بأن يكسبون .

ولا تجعل الطمع في فضله تعالى سبباً لترك العبادات ، كمن لعب بعقولهم الشيطان ، وداوم على ذكر القلب ، ولا تفتر عنه ولو في المشي ، وتمسّك بحول الله تعالى وقوّته في كل أمر ، واستمد من روحانية السادات الكبار قدس الله أسرارهم ، وأكرم حملة العلم وحفظة القرآن ، واشتغل بالقراءة بحسب التيسير ، واشتغل بعلم الفقه أكثر من غيره ، ولا يصرفنّك الحضور القلبي عن ذلك فإنه علامة ضيق المشرب وقصر الباع ، ولا تدخل في أمور أهل الحكم ؛ ولو طلبوا منك ذلك ، وادعُ

بالصلاح والإصلاح لإمام المسلمين ووزرائه وأمرائه ، واطلب من الله تعالى أن ينصر الإسلام على الكفرة والمبتدعة .

وعليك بترك الوجود ، وبذل المجهود ، والقناعة بالموعود ، والتمسّك بسنّة صاحب المقام المحمود صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أبد الآبدين ، والحمد لله رب العالمين .

وعليك بمداومة صلاة النافلة من التهجّد والإشراق والأوّابين والضحى ، ودوام الوضوء ، وقل « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلاماته » ثلاث مرات . من هامش .

مطلب مهم جداً

ومن وصية مولانا ـ قدس سره ـ أن لا يلقّن الطريقة للأمرد الصبيح ، ولا المراة الشابة ، وإذا لقّن للنساء فيكون من وراء حجاب بواسطة المحرم ، ولا لهنّ جمعية ختم ، ولا حلقة توجّه ، بل يستقيم كل واحدة منهن في بيتها بعد قضاء حاجة بيتها وزوجها وأولادها .

والحقير حين كنت في البروسه فتّشت كتب الصوفية ما حصلت غير صورة المعنى فتيقّنت أن للحقيقة لا بد من مرشد .

وسألته عن بعض الثقات فقال لي : إن الشيخ إسماعيل أفندي جامع إمام ، حضرة أمير مأمورٌ من الطريقة الخالديّة ، فلما وصف لي الطريقة قال : قلبي له . ثم قلت : من العلوم الجزئي أيّ شيء عنده ؟ قال : علم الارتفاع فقرأت منه علم الرّبع ، تأنس قلبي له ، ثم قلت لواحد من إخوانه : أنت تكون لي واسطة إلى الشيخ فأحسن إلى الطريقة العلية ، وهو راح عنده ثم رجع إليّ فتشوّق على وجهي وتبسّم ، قال : يقول لك الشيخ إنه أمرد ، هو خلاف أصول طريقتنا ، والحال أن في عذارك لحية!! . قلت : عُدْ إليه فبيّن لي بعد ما بيّنه . قال : يطلبك الشيخ ، فدخلت خلوته ، قال لي : أحسبك أمردا! فعلّمَني الاستخارة المعهودة .

وقال سيدي الشيخ سليمان ـ رحمه الله تعالى ـ : عدم كون الأمرد صبيحاً من أصول طريقتنا ، ولكن أكثر جماعتنا الجاوي أمرد ، وليس كأمرد صبيح أهل الشام ،

وأهل الروم ، وأهل الأكراد ، بل شبابهم وشيابهم على نمط واحد لا خلاف فيهم . من هامش نهج السالكين .

مطلب مهم جداً للمرشد

وأما **طريق التأثر في الطالب!** فأن يتوجه الشيخ إلى نفسه في النسبة التي قصد إلقائها إلى الطالب ، ثم يستعمل همة تامة قوية لإلقائها من جانبه إلى الطالب ، فتنقل تلك النسبة إلى الطالب على وفق استعداده .

وأما إذا كان الطالب غائباً! فيتصوّر صورته ، ثم يتوجّه إليه ويبلّغ أمره إلى النهاية .

وأما **جمع الهمّة!** عبارة عن اجتماع الخواطر ، وتأكّد العزيمة بصورة التمني والطلب بحيث لا يحصل في القلب سوى هذا المراد ، ويسأل الله تعالى سبحانه حصوله فيتم على حسب تمناه .

وأما **طريق الكشف عن نسبة أهل الله تعالى!** فأن يجلس مقابله إن كان حيّاً ، أو قريباً من قبره إن كان ميتاً ، ثم يخلّي نفسه عن كل نسبته ، ويجعل روحه متصلاً بروحه زماناً حتى يتصل بها ويختلط ، ثم يرجع إلى نفسه ، فكلما وجد في نفسه من الكيفية هي نسبة ذلك الإنسان .

وأما **طريق الإشراف على خاطر الإنسان!** فإنه يخلّي نفسه من كل خاطر ، ثم يجعل نفسه متصلاً بنفس ذلك الإنسان ، فإن اختلج في نفسه حديث فهو خاطر ظهر بطريق الانعكاس .

وأما **طريق الكشف عن الواقعات المستقبلة!** فكذلك يخلّي نفسه عن كل شيء سوى الانتظار بمعرفة الواقعة المطلوبة ، فإذا انقطع عن حديث النفس وصار انتظاره لطلب الماء العطشان يلحق إلى الملائكة الكرام ، فتنكشف له الواقعة إن شاء الله تعالى ، إمّا بأن يسمعها من الهاتف ، أو بأن يراها في اليقظة أو في المنام .

أما **طريق رفع البليّة النازلة!** فبأن يلاحظ تلك البليّة بصورتها المثالية ، ويتوجّه لرفعها بالهمة القوية فيندفع بإذن الله تعالى .

الأنهار الأربعة للشيخ خالد قدس الله تعالى سره ورزقنا من فيوضه وبركاته .

مطلب كثير الوقوع قليل السطوع

وقد كتب الإمام الربّاني في بعض مكاتيبه : إن الطالب إذا لم يجد رشده عند شيخ ورآه عند شيخ آخر يسوغ له أن يذهب إلى خدمته ، من غير إنكار على شيخه الأوّل . وأيّد ذلك بنقله عن خواجه بهاء الدين ـ قدس سره ـ وقال إنه أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارا .

من مكتوبات شيخ الزمان وغوث الأوان الشيخ ذي الجناحين محمود أفندي الألمالي الداغستاني ، قدس الله تعالى روحه العزيز ، ورزقنا من بركاته :

الفصل السادس

فيمن يصلح للإرشاد والمشيخة ومن لا يصلح

قالوا المشايخ ـ أي ما يطلق عليه اسم الشيخ ـ ثلاثة :

١ ـ منهم من ليس في يده تصرّف في المريد وتأثير فيه ، فهو كالعوامّ ، بل هم أضلّ من الأنعام ، ليس فيهم المشيخة إلا اسمه ورسمه كما هو أكثر مشائخ الزمان ، وقال مولانا خالد سليمان ـ قدس سره ـ مجدّد المائة السابقة : ويجب الاعتراض على حاله والإنكار لأنهم ضاعوا وأضاعوا الناس ، لحبس الناس عن ذهاب باب أهل الكمال ، ومنعهم عنه ، ولكونه سبب حرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كان جاهلاً بأمر الدين ، كما سيجيء في هذه الرسالة .

٢ ـ ومنهم من كان في يده تصرّف في عالم الملكوت وتأثر المريد في صحبتهم ، لكن ليس استقامة بقدر ما يخرج من الفسق ولا يكون فيه أدب الشريعة ولا أدب الطريقة ، فهم أيضاً لا يصلح لأن يقتدى بهم وإن كانوا صادقين في أحوالهم ، لأن من اقتدى غير أديب يكون غير أديب ، مع أن الطريقة كلها آداب على ما قالوا ، لكن يحترم ويعظّم ولا يتعرّض خوفاً من قهره ، فعلم أن غير الأديب الصادق الأحوال إذا لم يصلح للاقتداء فالغير الأديب ليس فيهم حال صادق فلا يصلح بالطريق الأولى ، فالاقتداء بهؤلاء شعار جهلاء العصر ، على الخصوص إذا كان جاهلاً لفروض العين .

٣ ـ ومنهم من في يده تصرّف وتأثير وعلم بالأحكام الشرعية التي يجب علمها عيناً واستقامة ، فهم مما يصلح الاقتداء والاستقامة والاعتبار ، حتى قالوا إنهم الكبريت الأحمر ، خصوصاً في هذا الأوان ، ولهم فضائل في كتب السادات ومثله في الخطاب لإسماعيل الحقي ـ قدس سره ـ ورسائله بهامشه ترجمة رسالة خالديّة والفتوحات المكية لسيدي ابن العربيّ ـ قدس سره ـ وسيجيء بعدُ عبارته .

مطلب مهم

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في « أيها الولد » : ولا بد للسالك من

شيخ يربّيه ويرشده إلى سبيل الله تعالى ، وشروط الذي يصلح للتربية : أن يكون تابعاً للرسول ﷺ ، وأن يكون عالماً يصلح له ، لأن كل عالم لا يصلح ، وإني قد أبيّن بعض علاماته حتى لا يدّعي كل أحد أنه مرشد فنقول : من يعرض عن الدنيا وحبّ الجاه ، وقد كان تابعاً بشخص يصير تسلسله ومتابعته إلى سيّد المرسلين ، وكان محسناً رياضة نفسه من قلة الأكل والشرب والقول والنوم ، وكثرة الصلاة والصدقة والصوم ، وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلاً بمحاسن الأخلاق كالعلم فهو نور من أنوار معرفة النّبي ﷺ ، فيصحّ الاقتداء به ، لكن وجود مثله نادر أعزّ من الكبريت الأحمر ، انتهى كلام « أيها الولد » .

وقال في جوامع الأصول : فيجب أن يُقتدى بمن عُلم بالديانة والصيانة ، والرحمة والعفّة والتقوى ، والأمانة من البدع والأهواء والخيانة ، بعد أن تحقق أن طريقته موافقة للكتاب والسنة وأفعال الصحابة والمشايخ الراسخين والعارفين وكبار الأئمة . انتهى كلام الجامع .

فالصوفية أخذوا حظّاً من علم الوراثة فأفادهم العمل بالعلم ، فأفادهم علم الوراثة ، فهم مع سائر العلماء في علومهم ، وتميّزوا عنهم بعلوم زائدة هي علم الوراثة ، قاله في « عوارف المعارف » .

قال في روح البيان في سورة النساء : الله تعالى يزكّي من يشاء التزكية تهيّئاً لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية ، والمزكّي هو النّبي ﷺ في أيام حياته ، كما قال الله تعالى ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم**﴾ الآية . وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منهم قرناً بعد قرن ، من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان إلى يومنا هذا ، ولعمري إنهم في هذا الزمان أعزّ من الكبريت الأحمر ، انتهى كلام روح البيان .

وقال في سورة الإسراء أيضاً : فعلى السالك الصادق أن يطلب الوصول إلى مثل هذا العالم ، فإنه هو المطلب الأعلى ، ولن تصل إليه إلا بقدم العلم والعمل ، والرجوع إلى حال التراب . انتهى .

قال في الخطاب : قالوا : لا تكن مريداً إلا لعالم ، ولا كلّ عالم إلا حيّاً ، يعني لا يجوز أن يكون مريداً لكل عالم بل كن مريداً لعالم كان قلبه حيّاً بحياة

حقيقية ، ومحلاً للفيض الإلهي حتى يحصل لك في صحبته فائدة وحياة باقية . انتهى كلام الخطاب .

وقال في روح البيان : فكما أن العالم الغير العامل ، والجاهل الغير العامل سواء في كونهما مطرودين عن باب الله تعالى ، وكذا العارف الغير الكامل ، والغافل الغير العامل سواء في كونهما مردودين عن باب الله تعالى .

وقال رجب أفندي في شرحه للطريقة المحمدية : وقال أبو يزيد ـ رضي الله تعالى عنه وعنا ـ لو نظرتم إلى رجل أعطي الكرامات من خوارق العادات حتى تربع في الهواء ، فلا تغتروا عند الأمر أيفعله ولا يُخلُّ بما يستطيع منه ، والنهي أيفرّ عن المنهي عنه رأساً أم لا ؟ وهل يحفظ الحدود وآداب الشريعة ، فإذا كان مؤتمراً بذلك يعتبر بكراماته الدالة على علوّ مقامه عند ربه ، وإلا فهو استدراج ومكر .

أقول : قد أجمعوا على أنه لا مقام للعبد يسقط عنه التكاليف الشرعية ، وأجمعوا أيضاً على أنه لا يصحّ النهايات إلا بتصحيح البدايات وهي العلم والعمل .

واعلم أن التصوّف تفرّقت على اثني عشر فرقة ، فواحدة منهم سنيّون وهم الذين أثنى عليهم العلماء والباقون بدعيّون . انتهى كلام رجب أفندي . كذا في الخادمي شرح الطريقة .

قال في روح البيان : هم الموافقون للكتاب والسنة عقداً وعملاً . انتهى كلامه .

قال في جامع الأصول في سورة النور : واعلم أن من لم يتصل نسبته المعنوي بواحد من أهل النَّفَس الرحماني ، وادّعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنا ، وربما يكره بعض يأتي تمامه بعد في أواخر الوجه فراجعه

اعلم أن مَنْ لا يعرف أباه وأجداده في الطريق فهو مطرود ، وكلامه دعوى غير مقبول ، وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله عليه الصلاة والسلام : « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » . وقد أجمع السلف كلهم على أن من لم يصحّ له نسب القوم ولا أذن في أن يجلس للناس لا يجوز التصدر إلى إرشاد الناس ، ولا أن يأخذ

عليهم عهداً ، ولا يلقّنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ؛ إذ السرّ في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الحق عزّ وجلّ ، فمن لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدود منهم . انتهى كلامه .

وقال فيه أيضاً : فلما كان الصحبة من لوازم الطريقة وشروطه ، وكان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون ، إجازته صحيحة مستندة إلى شيخ صاحب الطريقة ، وهو إلى النَّبي ﷺ . انتهى كلام جامع الأصول .

وقال في تتمّاته أيضاً : وقال العارف عبد الوهّاب الشعراني - رضي الله عنه - في المدارج : اعلم أيها الطالب المريد ؛ من لم يعلم أباه وأجداده في الطريق فهو أعمى ، وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله ﷺ : « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » . ولقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم ، وأجمعوا كلهم أن من لم يصحّ له نسب القوم فهو لقيط الطريق لا أدب له ، ولا يجوز له التصدّر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن .

ثم قال فيه أيضاً : **اعلم** يا أخي أن السرّ في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله تعالى ، وأقل ما يحصل للمريدين إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين! أن يكون إذا حرّك السلسلة تجاوبه أرواح الأولياء ؛ من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عزّ وجلّ ، فمن لم يدخل في طريقهم بذلك فهو غير معدود منهم ، ولا يجاوبه أحدٌ إذا تحرّك السلسلة . انتهى كلام المتمّمات .

وقال في روح البيان في سورة النور : **واعلم** أن مَنْ لم يتصل نسبته المعنوي بواحد من أهل النفس الرّحماني وادّعى لنفسه الكمال والتكميل! فهو زانٍ في الحقيقة ، ومَنْ هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنا ، وربما يكره بعض أهل الطلب على التردد لباب أهل الدعوى ، ويصرفه عن أهل الحق عناداً أو غرضاً ومرضاً اتباعاً لهواه فهو إنما يكرهه على الزنا ، لأنه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنا ، إذ يفسد استعداده فساد البيضة . نسأل الله تعالى أن يحفظنا من مكر الماكرين . انتهى .

وقال أيضاً في سورة الفرقان : وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنوية وهم المشايخ المدّعون ، والدجاجلة المضلّون : فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس ، فالتابعون لهم في حكم عابدي الأصنام ، فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الهوى متبوعاً .

لا بد للمرشد من العلم! فإن الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم ، فإن كان العبد مدخل في إفادة الخلق العلم النافع ودعائهم إلى الله تعالى على بصيرة! فهو الذي يُرقي غيره من الجهل إلى المعرفة ، وأنشأه نشأة أخرى ، وأحياه حياة طيّبة بإذن الله تعالى ، وهي رتبة الأنبياء عليهم السلام ومن يرثهم من العلماء العاملين . انتهى كلام روح البيان .

قال مولانا الشيخ ابن سليمان الخالديّ ـ قدس سرّه ـ في كفاية المريد : فالمرشد الفريد العالم ما يحتاج إليه المريد من الفقه والعقائد والتوحيد وفي الحديث المحقق السديد ، وفي الطريق عارفاً سلوكها ، وفي النفوس عالماً شكوكها ، وأن يكون ناصحاً عفيفاً ذا همّة في حاله لطيفاً ، وأن يكون غاضباً لله . قال الشيخ الصفي ـ قدس سره ـ إن الذين يدّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ويراؤن جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشدّ من عذاب النساء الزانيات ولدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادهن سبعين مرة ، فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وجدت أكثرهم مدّعين ما لم يتحققوا به ؛ يضلّون الناس بأكاذيب ، ويروون أساليب ليس فيها أثرٌ مِن المعاني والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترّ بظاهرهم ، ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم ، بل يجتهد إلى أن يميّز بين الحق والباطل ، والعارف والجاهل . عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى كلام روح البيان .

وقال الإمام معصوم في مكتوباته ما حاصله : حُرِّر أن من أذن له شيخه في واقعة لتلقين الذكر وتربية المريدين وأرواح السادات الماضية ظاهرون حاضرون! هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا تلقين الذكر وتربية المريدين ؟

فالجواب : إن الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا يثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى كلام المكتوبات .

وقال في عوارف مشيخه العارف في فضل رتبة المشيخة : إن الصالحين والسالكين ينقسم أربعة أقسام : سالك ، ومجذوب ، وسالك متدارك بالجذبة ، ومجذوب متدارك بالسلوك .

فالسالك المجرّد لا يؤهّل للمشيخة ولا يبلغها لبقاء صفات نفسه عليه ، فيقف عند حظّه من رحمة الله تعالى عليه في مقام المعاملة والرياضة .

والمجذوب المجرّد من غير سلوك أيضاً لا يؤهّل للمشيخة فيقف عند حظّه من رحمة الله تعالى عليه .

والسالك الذي هو متدارك بالجذبة يؤهّل للمشيخة لأنه أخذ في طريق المحبّين في حال من أحوال المقرّبين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار والصالحين ، ويمكن الاتباع فينقل منه إليهم علوم ، ويظهر بطريقة بركة ، ولكن قد يكون محبوساً في حال لا يطلق من وثاق الحال ، ولا يبلغ كمال النوال يقف عن حظّه ، وهو حظّه وافرٌ سَنِيٌّ ، قال الله تعالى **﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾** .

ولكن المقام الأبلغ الأكمل في المشيخة القسم الرابع ؛ وهو :

المجذوب المتدارك بالسلوك يباديه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بأنوار المشاهدة ، وينشرح صدره ويفصح ، وتتجافى عن دار الغرور وينسب إلى دار الخلود ، ويرتوي من بحر الحال ويتخلّص من الأغلال والأعلال ، ثم يفيض من باطنه على ظاهره ، ويجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء ، بل بلذّة وهناء ، ويكسو قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحبّ ربّه ، ويلين جلده كما لان قلبه ؛ وعلامة لين جلده : إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه ، فيريده الله تعالى إرادة خاصّة ، ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين ، قال الله تعالى **﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾** أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ، ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد . انتهى كلام العوارف بأدنى اختصار لكنّ الكلام والحكمة مملوء فيها لأن شيخنا وسيدنا ممن وافق اسمه مسماه ، وهو اعلم في هذا الباب ـ جوّز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة وترتيبه المريد بإذن شيخه المعتبر ، إذناً صحيحاً في اليقظة بأن يده يد شيخه ، وكلامه في هذا طويل ، وليس له في هذا الباب عديل ،

ونحن لم نذكر ذلك لكفاية هذا القدر القليل إن كان من العلماء! وإلا فلا يفيد التطويل .

وقال في الرسالة المدنية : ولا يبلغ المريد درجة الكمال إلى أن يرى في جميع عباداته عيباً ، وأنها لا تليق إهداؤها إلى جناب الحق جلّ جلاله ، ثم يجد معنى قوله : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . وهذا بعد اطمئنان النفس وتشرّفها بالإسلام الحقيقي ، فلا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلا بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، وبعد هذه المرتبة يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجّه ، وأمّا قبل هذا فمن قبيل خَرَط القتاد ، ومن قبيل جذب الألم إلى نفسه كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس هذا إلا إيلام النفس! نعم إذا كان بإذن شيخ فإنه تربية الشيخ لا تربيته إذا كان فانياً في شيخه ؛ حيث يدوم له نسبة حضوره .

ثم قال فيها أيضاً : إنه يعطي الكامل للناقص الإجازة بتعليم الطريقة ، وهذا ليس بمناف للإفادة والاستفادة ، لأن يد الناقص يد الكامل لأنه واسطة في الجملة في ارتباط السالك له ، فبمجرد المحبة له يحصل له تربية النفس ، فلذا يلزم عليه رعاية الأمرين فيه ، أحدهما : محبة الشيخ المقتدى ، والآخر! الاستقامة في الشريعة والتمسّك بالسنة السنيّة ، فإذا لم يكن تقصيره في هذين الأمرين لا يحصل الضرر إليه ، وإن كان في أحدهما أفضل في الأمرين لا يحصل المعرفة ، بل يبقى تحت تصرّف الشيطان ولا علاج له سوى الخسران الأبديّ . انتهى كلام الرسالة .

لكن الإمام الربّانيّ في مكتوباته شرط في إذن الناقص تأثر المريد في صحبته ، وقسم الإذن على أقسام ، وبيّن نفع الإذن للناقص أيضاً ، وفيها كلام كثير ، كثير الفائدة لأهالي الإنصاف ، لا يسعه في هذه الرسالة جمل في كلّ كتاب . ذكرت في هذه الرسالة الفوائد والمعاني والدّرّ المكنون والكنز المدفون وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين كثير جداً فليرجع المنصف إليها .

وقال الشيخ الإمام صاحب الهداية لبعضهم : فساد كبير عالم متهتّك والعالم المتهتك هو الذي يفعل خلاف الشرع من الأفعال الرديّة ، وفساد مثل هذا العالم كبير لأنه يراه الجهّال فيعتقدون به ، فَيضلُّ ويضلّهم ، وأكبر منه جاهل متنسّك أي متعبّد ، والجاهل المتنسّك هو المقلد في معتقده ، الجاهل في أفعاله وأقواله ،

لا يعرف صحّتها وفسادها . كالصوفية في زماننا ، وإنما كان أكبر من العالم المتهتّك في الفساد لأن فساده قد يكون في اعتقاده وعمله جميعاً ؛ فكان أكبر فساداً من العالم المتهتّك في الفساد لأن اعتقاده صحيح ، وهما فتنة عظيمة في العالمين لمن بهما في دينه يتمسّك . قاله في « شرح تعليم المتعلّم » . كذا في الخادمي شرح الطريقة ، ورجب أفندي شرح الطريقة .

وطائفة أخرى من الشيوخ أصحاب أحوال عندهم تبديل ، ليس لهم في الظاهر ذلك التحفّظ تسلّم أحوالهم ، ولا يصحبون ولو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى أن يظهر لا يعدل عليه ، مع وجود سوء أدب مع الشرع . فإنه لا طريق لنا إلى الله تعالى إلا ما شرعه . فمن قال بان ثمة طريق إلى الله تعالى خلاف ما شرع فقوله زور ، فلا يقتدى بشيخ لا أدب له وإن كان صادقاً في حاله . قاله في الفتوحات المكية . وقال في روح البيان في سورة النحل : قال الشيخ الشهير بـ« أفْتادَهْ » ـ قدس سره ـ هنا رجل يقال له ديوانه جلبي يأكل ويشرب ويشتغل بالشهوات ، ويزعم أن له نظراً إلى الحقيقة من المظاهر ـ حفظنا الله تعالى من الإلحاد ـ ففي حالة الاحتضار استغفر وقال : يا حسرتا لم أعرف الطريقة . ويرجى أن يعفى لسبق ندامته ، وكان له كشوف سفليّة! وقطع بخطوة واحدة سبعين خطوة وأكثر ، ولكن الكشوف السفليّة مثلها بما كان في مرتبة الطبعية غير مقبولة ، وعوام الناس يعدّون أصحاب أمثال هذه الكشوف الأقطاب! لكونهم على الجهل لا يميّزون بين الخير والشر .

وقال أيضاً في سورة آل عمران : وقيل لأبي يزيد ـ رضي الله تعالى عنه وعنّا آمين ـ إن فلاناً يمشي على الماء! قال : الحوت أعجب منه إذ هو شأنه . فقيل له : إن فلاناً يمشي في الهواء! قال : الطير أعجب منه إذ هو حاله . قيل له : فلان يمشي إلى مكة ويرجع من يومه! قال : إبليس أعجب من هذا إذ هو حاله ؛ يطوي الأرض كلها في لحظة وهو في لعنة الله تعالى . انتهى كلام روح البيان .

مطلب

وقد أجمعوا أن الفوز والنجاة لا يحصل إلا بالعلم والعمل جميعاً ، وإن اتفقوا على أن العلم أشرف من العمل ، لكن العمل متمّم له ، وإن المحققين قالوا : لو

رأيت إنساناً يمشي على الماء وهو يتعاطى أمراً يخالفه الشرع فاعلم أنه شيطان ، وهو الحق .

اعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل ، والمدّعي فيه كثير ، ونحن نعرّفك علامتين تجعلها أمام عينك ، وتعتبر بهما نفسك وغيرك ؛

فالأولى : أن تكون الأفعال الاختيارية موزونة بميزان الشرع .

الثانية : أن يكون حاضر القلب على الله تعالى في كل حال حضوراً ضرورياً يعظم تلذّذه به ، [انتهت من مكتوبات الغوث الأعظم والفرد الاكرم الشيخ محمود أفندي الألمالي - قدس سره العالي - التي جمعها من الكتب المعتمدة الصوفية ومن تقريرات الأئمة الأولياء المشايخ الحقيقية نفعنا الله تعالى بكلامهم ، ورزقنا من فيوضاتهم ، ووفقنا الله تعالى لاتباع آثارهم الحميدة وأخلاقهم الكريمة بمنّه وكرمه وحفظنا الله تعالى من غرور الشيطان وتبعيّة النفس الأمارة أعلى العدوان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذي الطول والمنّان والرحيم الرحمان] محمود الفعال ، مرضيّ الخصال الألمالي قدس الله تعالى سرّه العزيز آمين .

الفناء

باسم الله خير أسمائه ، والحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على سيّدنا سيد الخلق سيد أنبيائه محمد عليه أفضل صلوات الله وسلامه ، وعلى مَنْ في حياضه من آله وصحبه وأتباعه ؛ ما تواترت النعم في فناء فنائه ، وبقاء بقائه ، مساغ رحمته ومحاط علمه وقدرته آمين . مخدوم عزيز الوجود ، بالشيم المحمود ، في الخلق المعدود ، الودود عند الله المعبود ، اللهم اذكره بمحيّي السنة السنية المصطفوية ، ومُعلي أعلام الشريعة العليّة ، بارتفاع ألوية النصر والهدى في فتوحات اهدائه ، ومضيء قلوب خير الأمة بنور النور ونور المعرفة ، وصفوة القربة والمعيّة ، ووجد المحبة والمحبوبيّه ، وبإجراء ينابيع الحكمة من جفر لطائف لطفك المودع فيه بفضلك عن ميزاب رياض إشاراته أقطار جوانب عوالم خلقك ، بإنبات شجرة الطور في حدائق عبودية العبودية في كل حدود وثغور ، من أقصى وأقرب النشور ، بجعل رضائك في رضائه ورضاؤه في مرضاتك ، حتى ظهرت خيّرية الخيرة في آخر الأمة على واردها أفضل الصلاة وأكمل التحية آمين آمين آمين .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وعلى عباد الله الصالحين إلى دار السلام ، ثم السلام من الملك العلاّم .

وبعد ؛ بعد شهر الله المبارك رمضان ، تعاقب مكاتيبكم بحسن الإحسان في الإحسان بعد الإحسان ، شكرنا الله تعالى المنان بالشكران ، ونشكركم من قبل إلى الآن ، وأسأل الله تعالى بعد الآن ، وإليه أفوّض أمري وأمركم ، هو الذي يعود إليه ويرجع كل ذي شأن ، عند مفاتيح كنوز الغيب والإعلان وهو المستعان ، ثم سألتم في كتابكم الأخير عن الفناء مع كتابكم أقوال السادات فيه رضي الله تعالى عنهم وعنكم وعنا وعن جميع عباد الله الصالحين ، خاصّة عن إخواننا المسلمين في ذيل ظلّهم آمين أجمعين .

أيها الأخ أرشدك الله تعالى حقيقة الحقائق في كل الدقائق : إن الفناء لغة واصطلاحاً معلوم ومشهور مستغن عن السؤال والجواب ، فالظاهر أنه ليس بمنظور ، وأما كيفية تحققه! وكيفية الفاني وأحواله وآثاره وواقعاته عند تحققه وبعده ، وعند فناء الفناء بعده ، وإن تكاثر فيها أقوال الكاملين من الثقات بثقة الأقوال ، ولم يترك شيء بلا مذاكرة من أول قدم الفناء إلى أقصى مراتب الولاية ومقامات الوصال ، وكان الخوض والأقدام إليه سوى وضع وجه التقليد إلى عتبتهم العالية من أمثالنا سوء الأدب بعد الحال ، ولكن لما كان كلام الملوك ملوك الكلام حتى استشرت في دقائق معانيه حقيقة المرام ، وكان سوط عباراته عجيب السياق ، وفراق لباب اصطلاحاته غريب المذاق ، واحتجب وراء رموزاته حمال الوفاق ، ولم يبق للقطع واليقين مجال ، ولم ينقطع عن الطالبين الناظرين لميزان أحوالهم ربقة الاحتمال ، فصار محتاجاً إلى البسط والبيان حتى يكون كالعيان ، فالتزمت بيانه إجابة للسؤال ، مع أنّي في مراد الفارس فيه كراجل حفيد ، وفي عريكة المجاهدين إليه آجل قعيد ، ولكن ليس من فضل من أنطق الشجرة لموسى عليه السلام ببعيد ، فإنه أقرب إليّ من حبل الوريد .

اعلم أوّلاً أن طبائع الطالبين واستعداداتهم مختلفة بأنواع الاختلافات كما هو الظاهر ، ومن حيث اختلافها يتخالف الأحوال ، وبه يتكاثر الأقوال في الأحوال ، فإن من تكلّم وأخبر عن كيفية الفناء والفاني ولوازمهما بلا رواية ولا إسناد إلى

شخص! تكلّم وأخبر من واقعات نفسه مقدار ما شاع حوضته وحمل مطيته واتسع قابليته ، فصار الإخبار عن صور الخلاف ، ولكنه بلا تعارض ولا تضادّ في الحقيقة إذ تغاير الأقوال في الأحوال ناشيء بسبب تغاير المحل لا بسبب تغير الحال الساري إليه في الحقيقة ، لأن الحال عبارة عن الفيض الساري إلى البدن المختلف الطبائع من المبدىء الفيّاض الأقدس كشعاع الشمس ، وكاللبن الجاري المجموع في قرعات الزجاج المختلفة الألوان مثلاً ، فمن البيّن أن تلوّن اللبن والشعان بانعكاس ألوان القرعات ، وإلا! فليسا بنفسهما ملونين بأنواع الألوان فظهر أن تغيّر الأقوال في الأحوال والاختلاف فيها ليس بالذات بل بالاعتبار ، كزيادة شيء واحد ونقصانه بالنسبة إلى المحلّين ، والتغاير الاعتباريّ بعدد الوفاق بعد تحقيق حقيقته كما سيأتي بيانه هنا .

ثم **اعلم** أن الفناء استعلاء ربوبية الربّ على عبودية العبد ، وهو فضل الله تعالى على خلّص عباده المؤمنين الذين أقبلوا إليه جلّ شأنه بتمام ما خلق الله تعالى فيهم ، حيث يترتب عليه كمال رضاء الربّ ، وهو كالشرط لحصوله أكثرياً[1] ؛ ولو كان الفناء وهبيّاً وخارجاً عن تصرّف المربي ؛ لكنه غير مطموع لكونه نادر الوقوع بدونه . حياً كان المربي أو ميتاً .

وأما ما نقلتم من « الفتوحات » من أن الفناء فناء المعاصي ، والبقاء بقاء الطاعات وهو الفناء المقيّد!! عبارة عن أن فناء القلب بتجلّي الأفعال ، والمراد منه فناء رتبة المعاصي وبقاء رتبة الطاعات ، ولا يرد السؤال بلزوم معصومية الفاني ولا بمحظوظيته ، لأن المعاصي بدواعيها بعده تأكّدها عند عدم المانع عنها بالنظر إلى نفوس البشرية ممكن الوقوع مطمئنة ؛ كانت أو لا ، كما هو الظاهر قال الإمام الرباني رضي الله عنه : يعني أن النفس وإن كانت مطمئنّة لا يتكاء عليها ولا يأمن عنها ، نعم إن عدم رقبة المعاصي في مطلق الفناء وهو كمال الفناء كذلك موجود فيه ومن آثاره أيضاً ، لكنّ الفرق بينهما ثابت بالعموميّة والخصوصية ، كالفرق الثابت بين : (لا معبود إلا الله) ، وبين (لا موجود إلا الله) . تأمل .

---

(١) احتراز عن الامتناع وعن اللزوم الكلي (منه).

ثم إن الفناء متفاوت ومتغاير بحسب مراتب التجلّيات بنفسه ، كذلك متغاير ومتفاوت كل قسم من أقسامه بالنسبة إلى الفاني وطبائعه ، وإقبال الفاني وتجرّده إليه تعالى بالزيادة والنقصان ، وكذلك آثاره في الفاني بحسب الانفعال استعداداً وإقبالاً ؛ وإقداماً ومشرباً ، ولذلك قيّدنا الإقبال فيما سبق بتمام ما خلق الله تعالى فيهم ، وسيجيء زيادة بتفصيله وتمثيله في بيان طبائع الطالبين السالكين ومشاربهم وإقدامهم إن شاء الله تعالى .

فظهر أن مراتب الفناء وآثاره غير محدود البيان ، الطريق إلى الله تعالى بعدد النفوس .

وأما **كمال الفناء** بفناء النفس وبلوغها إلى روح الفاني ، وفنائها بفناء القلب ، إذ بينهما أخوّة تامّة ، لأن فنائها بدون فناء القلب جنون محض ، وبلوغها إلى مقام الروح لا بنفسها أيضاً ؛ بل بحضانة القلب وبإحاطته مع أن وصولهما إلى مقام روح الفاني بالتجلّي الذاتي ؛ وهو استعلاء ذاته جل سلطانه القاهرة على العبد بحيث ينسى نفسه وهواها ولوازمها ، ويشتاق ربّه ويشتغل أمره ، ولا يتذكر نفسه ولا ولائها الذي هو ولاء الله تعالى ، بل ولا يراها ولا يرى وراءها بالاعتناء إليهما والرقية فيهما إلا به تعالى ، وبأمره عزّ اسمه ، ونهيه جلّ سلطانه ، كما أخبره خير المخبرين عليه الصلاة والسلام بقوله عزّ وجلّ : « يبصر بي ، ويسمع بي »[1] . إلى آخر الحديث من أوّله ، وعليه بنى كلام صاحب « مشكاة الأنوار » : ترقي العارفين من حضيض المجاز إلى ذروة الحقيقة ، ورأوا بالمشاهدة أنه ليس في عالم الوجود إلا الله تعالى وأنّ كل شيء هالك إلا وجهه ؛ له الحكم ، لا أنه يصير هالكاً في وقت من الأوقات ؛ بل هالك أبداً وأزلاً . انتهى

وبه كمال التوحيد من الشهودي والوجودي ، وكمال الإيمان والإيقان الذي لا يحتمل الزوال خلاف التوحيد الاستدلالي لأنه لا يفيد الكمال في الإيمان كما لا يفيد الكمال في الإيقان بالنسبة إلى العيان . كما قال سيدنا سيد السلسلة بهاء الحقّ

---

(١) الحمد لله الذي خصَّ حضرتنا رضي الله عنه بهذا الحديث الشريف بما فُسِّر بتقدير المضاف وإضماره، ولو فسر أوله أيضاً لكان أفيد لهذا الفقير، لأنه مشكل أو متشابه (الجسطاوي قدس سره).

والدّين البخاري ؛ رضي الله تعالى عنه وعنّا وعن جميع إخواننا .

ومن **علامة الكمال** كون الاستدلال كثيراً ، وأنت خبير أن الذهاب من العلة إلى المعلول أقوى نوعي الاستدلال بين القوم ، وعليه مدار مذهب الصوفيّة لأنهم يرون الخلق ويعرفونه بالحق ، ثم لا يخفى أن التجلّي الذاتي ليس نصيب كل فرد من أفراد السالكين الكاملين في التربية ، المُشرّفين بالفناء كما حقّقه الإمام الربّاني ـ رضي الله تعالى عنه وعنا آمين ـ بل خصّه لأقلّ القليل منهم في طريقته كباقي سائر الطرق ، وأما كمالهم بالنسبة إلى استعدادهم ومشاربهم لأنه ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : مجذوب سالك ، سالك مجذوب ، سالك غير مجذوب .

أما الأول : هم الذين اجتباهم الله تعالى واختارهم من بين عباده السالكين بفضله لفضله ؛ جل شأنه وعمّ نواله ، وهم على قدم ومشرب واحد ، وهم محمّدي المشرب رزقنا الله تعالى ، وهم على قدمه ﷺ ، هم أهل اليقظة ، هم المريدون المرادون ، هم المربَّى بقرب النبوة[1] ؛ إذ الأقدام والمشارب مختلف باختلاف أقدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاربهم ، كما قيل : إن لطيفة القلب منسوب إلى سيدنا وأبينا آدم عليه السلام وتحت قدمه عليه السلام ، والروح منسوب إلى نوح وإبراهيم عليهما السلام وتحت قدميهما ، إلى آخر اللطائف من عالم الأمر ، وآخرها لطيفة أخفى وهو منسوب إلى سيدنا وسيد الخلق محمد ﷺ ، وتحت قدمه عليه الصلاة والسلام ، وهو موضع التجلّي الذاتي . فالتجلّي الذاتي نصيب محمدي المشرب ، وهو القسم الأول ، ومشرب القسمين الأخيرين على مشارب وأقدام سائر الأنبياء عليهم وعلى نبينا ﷺ ، ونهاية أقدامهم إلى الخفيّ وهو محلّ تجلّي الصفات السلبية ، وكذلك أهل مشاربهم من السالكين بحسب الاستعدادات الفطريّة فيهم ، وإن كان جميع أفراد القسم الأول على قدم واحد ، وكلهم مظهر التجلّي الذاتي ، والمربّى بقرب النبوة لكن فناؤهم وآثار فنائهم وأحوالاتهم وواقعاتهم متغاير ومتفاوت فيما بينهم ، بالزيادة والنقصان ، لا بالذات والحقيقة ، بل بالنسبة بحسب الاستعداد ، ومغاير بالذات بالنسبة إلى القسمين الأخيرين ، وكذلك في الوصول إلى

---

(١) التربية بقرب النبوة مختص بهذا القسم. وهو ظاهر عبارة السيد رضي الله تعالى عنه. (جسطاوي من خطه . رحمه الله تعالى).

مراتبهم ، كما قالوا : رَفْتَنْ ديكَرْ بَرْدَنْ ديكَرْ كالمريد والمراد ، وأما عدّه الكل كاملاً بالنسبة إلى أشخاص الفاني واستعداده ، لا بالنسبة إلى كمال الفناء .

روي أن واحداً من الكاملين الواصلين(١) أراد لقاء أبي يزيد بن عيسى البسطامي ـ رضي الله تعالى عنه وعنا ـ فلما التقاه ونظر إليه خرّ مغشياً وقضي عليه ، فالظاهر أنه لمّا رآه ونظر إليه وربط قلبه بكمال المحبّة سرى إليه أحواله ، وحمل عليه حمله ولم يتحمّله سقط وهلك .

ثم إن إدراك وظهورات القسم الأول ومعرفتهم لا يعدّ كشفاً ولا وجداناً ، بل يسمّونها مشكاة النبوة فوق القسمين الأخيرين ، وفي حقهم قيل : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الرحمان » .

وأما القسمين الأخيرين كلاهما من أهل الكمال بلا فرق بينهما في التربية والكمال لكن الثاني من أهل الكشف والوجدان ، ومحلّ التجلّيات(٢) دون التجلّي الذاتي ، ويعلمون أحوال أنفسهم وأحوال مريديهم ويتصرّفون فيهم بمراتبهم في مراتبهم هم أكثر القسمين من الأوّل والثالث خوارق وكرامة ، إذ الكرامات في مرتبة الصفات وأقرب من القسم الثالث إلى الأول مشرباً ، ولذلك يبدل مشرب بعضهم إلى مشرب القسم الأول بطول صحبتهم انعكاساً بين القسم الأول ، ويسري أحوالهم إليهم بوسيلتهم وكمال ارتباطهم حتى يكون كالمحمدي المشرب .

وأما القسم الثالث يخالفهم في جميع الأحوال(٣) مع أنهم كاملون في الرتبة ومحل التجلّيات إلى الصفات السلبيّات ، ولا يعلمون أحوال أنفسهم ولا أحوال مريديهم ، ولا يفهمون في أنفسهم آثار التجلّيات سوى عدم الرقبة إلى ما يبعدهم من أعمال الخيرات ، ولكن الأول والثاني يفهم منهم آثار التجلي ويعلمون مراتبهم في الفناء وهم ـ أي القسم الثالث ـ أكثر القسمين عبادة وأتقاهم في الأعمال من القسمين ، وهم أهل الغفلة مطلقاً دون غفلة الواجد الفاقد ، لأن غفلتهم بعد اليقظة

---

(١) هم المشرفون بالتجلي الذاتي دون سائر الكاملين (منه).
(٢) في الهامش (من الصفات الفعلية والذاتية والشؤونات الذاتية والسلبية هو التجلي الذاتي هذا ما فهمنا (أبي عبد الرحمان؛ من خطه).
(٣) يعني ليس لهم نصيب.

ناشيء من كمال الإدراك فوق غفلة القسم الثالث ، فبقي أن المجذوب غير السالك ليس من أهل الكمال ، ولا يطمع منهم التربية ، وإن باشروا إلى التربية يفسدون الطالب بسراية أحوالهم وأخلاقهم الغير المتممة بقوة إخلاص الطالب ، وأما ما قاله الشيخ الأكبر رضي الله عنه من (أن التجلي من الذات لا يكون إلا بصورة المتجلّى له ، والمتجلّى له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق ، وما رأى الحق لا يمكن أن يراه)! لا يبعد من الحق إما بأن يحمل إلى الرمز ، أو إلى التصريح كما سنبيّنه إن شاء الله تعالى . وأيضاً لا يبعد إنكار الإمام ـ رضي الله عنه ـ وخلافه بأن التجلي على صورة المتجلّى له في التجلّي والشؤنات ، لأن اللطائف المستقلّة في طريق الإمام ـ رضي الله عنه ـ خمسة آخرها لطيفة أخفى وهي محلّ التجلّي من الذات .

وفي طريق الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ثلاثة ؛ آخرها لطيفة السرّ وهي محلّ تجلّي الشؤنات الذاتية ، مع أن لطيفة السر في طريقهم لكون آخر اللطائف المراقبة فيها محلّ الكمال وتجلية المكتفى به من تجلّي الذاتي ، فحينئذ يكون منشأ الخلاف خلاف الطريقين ، ويكون كلام الشيخ ـ رضي الله عنه ـ تصريحاً لما في نفس الأمر بالنظر إلى طريقه . وأما على تقدير اندراج اللطائف الباقية كلّها في القلب كما حققه الإمام ـ رضي الله عنه ـ في رسالته المسماة بـ« مبدأ المعاد » ، مع أنه حقيق ، فبعد تسليم أن الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أدرك لطيفة أخفى في القلب بعد تكميل اللطائف المستقلة في طريقه ـ رضي الله عنه ـ ، ويسّر له السير في الأخفى ووصل ما فيه ، وحصل له التجلّي من الذات كما هو حقّ الأخفى . ثم قال بما قال في بيان التجلّي من الذات فوق الشؤنات تصريحاً بما هو الواقع دون الرمز . فإنكار الإمام ـ رضي الله عنه ـ وخلافه أقرب وأحرى إلى القبول وجداناً ، أثبتُ وأقوى رجحاناً وبرهاناً ، إذ لقاء مَن لا كيفية له لا يكون إلا بلا كيف لا يسع فيه الصورة سواء كانت من المتجلّي أو من المتجلّى له . تدبّر! .

ويمكن حمل كلام الشيخ على الرّمز بأنه أراد من الصورة صورة العجز واضمحلال المتجلّي له في المتجلّى حتى لا يبقى نصيب الإدراك سوى العجز ، وأخبر عن الحال بالمحلّ كناية كما يقال عن بعض الأشياء الغير المدركة أدركت مكانه أو بقي مكانه ، إذ صورته العاجزة صورته كذلك بلا فرد ، فيعود الكلام إلى

ما قاله الصدّيق الأكبر ـ رضي الله تعالى عنه وعنا ـ العجز عن درك الإدراك إدراك . كما أخبر ـ رضي الله عنه ـ عن العدم بالوجود . فحينئذ يكون نزاع الإمام نزاعاً لفظياً أورده لكون المقام مما لا يسع فيه الرّمز ، لأنه يزيل الأقدام لكونه موهماً للاتحاد والحلول .

وأما قوله (ولا يمكن أن يراه)! لا يكفي في رفع الوهم ، إذ للواهم أن يقول : نعم لا يمكن أن يراه مجرداً عن الحلول أو الاتحاد أو الانعكاس ، وأما في كونه تعالى مما لا يمكن أن يراه لا خلاف بينهما ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وإن خالفهم بعض الصوفية وقوم من المتكلمين هم الأشاعرة وأتباعهم من أهل السنة والجماعة ، كثّر الله تعالى سوادهم ، وشكر الله تعالى سعيهم ، لكنه لكون هذه المسألة مما تعارضت واختلفت فيها آراء أئمة الفريقين والمذهبين الذين هم المقتدى بهم للكل! يلزم لنا التوفيق والتوقّف . ولما كان التوقف يضرّ عناية الطالبين في الإقبال إليه تعالى جلّ اسمه وعمّ نواله برجاء تجلّيه المحتمل في إفادة المقصود ، إذ كمال القربة والمعرفة بالشهود ، وليس البيان كالعيان ، مع أن العيان أرجح مطلوباً ، والمحتمل لا يقصد إليه اعتناءً وكلّيةً ، مع أن حصول المطلوب يترتب على الجزم خاصة في السلوك إليه تعالى ، أردت إلى بيان غاية ما في الباب توفيقاً وتحقيقاً ، دفعاً لتردد الطالبين بقدر ما يسّره الله تعالى ، ثم قال الإمام ـ رضي الله عنه ـ في مكاتبه ورسائله في هذا المقام زيادة يجب كتبها بلفها وكذلك في موضع آخر : لا أعبد ربّاً يحيطه البصر . اعتماداً منه ـ رضي الله تعالى عنه ـ إلى عدم كونه تعالى محدوداً بحدّ من الحدود كما هو المتفق والمختار واحترازاً عن لزوم المحدودية ، مع قطع النظر عن الوجدان وعن كونه غير واقعٍ في الدنيا لأحدٍ على القطع ، كما هو المتبادر من سوق كلامه ، إذ بجلال ذاته وكمال صفاته وكبريائه تعالى شأنه ونهاية تجرّده سبحانه وتعالى ، وضعف الطاقة البشرية وكمال بُعده لحدوثه عن الواجب القديم غير واقعٍ لأحد على القطع ، كما شنع الملائكة عليهم السلام على موسى عليه الصلاة والسلام عند عجزه وقالوا : يا ابن النساء الحُيّض كالتراب ومآتموا الأرباب . مع أنه عليه الصلاة والسلام من الأنبياء أولي العزم ، وهي بالنظر إلينا محال الوقوع سواء كانت بالنظر إلى القدرة ممكنة أو ممتنعة . وقال الأشاعرة بإمكانية الرؤية في الدنيا كما ستقع في الآخرة تمسّكاً إلى شمول قدرته الشاملة ، المقطوعة نقلاً ،

الموجّهة عقلاً بأنه على كل شيء قدير ، وأيضاً قال رسول الله ﷺ : « واخشوشنوا واحشوشبوا وامشوا حفاة وعراة ترون الله تعالى جهرة » . نقله صاحب مشكاة الأنوار ، وأيضاً قال أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ : لا أعبد ربّاً لم أره . وكذلك الوجدان يشهد برؤية بعضٍ بعض المجردات ، ويؤكّده سماع صوت بحاسة السمع غير مسموعة الغير من أهل الملإ . وأيضاً روي عن رسول الله ﷺ : « رأيت ربي على صورة شاب أمرد » وأخبر بعض المتصوّفة بالتجلّي من الرؤية . فالتحقيق الحقيق أن رؤية الله تعالى بحاسة العين الجسماني في الدنيا محال بالنسبة إلى البشر ، وأما ببصيرة القلب البالغ إلى مقام الروح بإفاقة النفس ليس بمحال في حالة اليقظة ، مع أن العين الجسماني ناظرٌ ، ولا يكون نظره حائلاً والمنظور به حجاباً لغلبة الباطن على الظاهر لقوّته ، ولكمال صفاته كأنه رآه جهرة بالعين الجسماني لكون العين محظوظاً من حظّ القلب بسبب النور الساري من القلب إلى العين أو من العين إلى القلب كما يشاهد عند غمض العين ، مع أن الرؤية بالبصيرة والبصر محظوظ بنوع من العكس حتى لا يفرّق الأكثرين من أفراد أهل هذا الشأن أن ذلك الرؤية أحظّ بصره ، أم حظّ قلبه ؟ إلا الحديد البصر ، مع أن الرؤية بهذا الوصف واقع بما يليق لشأنه تعالى من عدم الكيفية كما يوصف في الآخرة .

وأما ما ذهب إليه القوم في إمكانيتها في الدنيا بحاسة عين الجسماني إن لم يُؤوّل بما قدّرناه ممنوعُ الوقوع عقلاً ، ومُناقش فيه على قاعدتهم سواء كان المراد وقوعها بالبصر أو إمكانيتها بنفسها ، إذ غاية التقدير تقدير الله تعالى في حاسة العين بساطة تساوي بساطة الذات ، وإعطاؤه قوّة التحمل احترازاً عن كونه تعالى محدوداً ، واعتناء لشمول القدرة . فعلى هذا أيضاً[1] يلزم قيام البسيط بالمحدود وإلا! يتناهى بالتناهي ، إما بالنسبة إلى العين والبدن ، وإما بالنسبة إلى البدن وعالم الخلق .

وأما الدعوى بشمول القدرة إلى كل منهم حتى يكون الكل كذلك بسيطاً! غير مسموع إذ فيه خلاف المفروض ، لأن الموصوف بالعين الجسماني والمسمى بعالم الخلق خلافه ، بل هو بعينه عالم المثال الذي لا نزاع فيه ، كما سيجيء بيانه أنه خلاف الحقيقة والواقع .

---

(١) أي : كما يلزم بلا تقدير (منه).

وأما القلب من عالم الأمر بسيط بلا كيف ، ويوصف أنه من فوق العرش ، وفيه أوصاف لا تسع المقام .

وأيضاً قال الإمام الربّاني ـ رضي الله عنه ـ في بعض رسالته : إن بين القلب وبين الله تعالى أُنْس وقربٌ بلا كيف .

وأيضاً قال في موضع آخر : ولعالم القلب مناسبة تامة إلى عالم الواجب .

ثم اعلم أيها الأخ أن الولاية ينقسم إلى قسمين : عامّة وخاصّة وما نحن فيه هو الولاية الخاصة[١] ، وهي مشروطة بالفناء ؛ وهو : عبارة عن نسيان ما سوى الله تعالى ، وأربابها أيضاً على قسمين : قسمٌ منهم الواصلين إلى مراتبهم ومدارجهم بقرب النبوة ، وقسمٌ آخر بقرب الولاية .

والقسم الأول على قدم واحدٍ يسمّونه محمدي المشرب إذ هم على قدمه ﷺ وعلى مشربه ، والقسم الأخير على أقدام شتى ، وكذلك مشاربهم بحسب أقدام ومشارب سائر الأنبياء عليهم السلام ؛ من حضرة سيّدنا أبينا المشفق آدم عليه السلام إلى سيدنا عيسى عليه السلام بترتيب اللطائف كما مرّ ذكره[٢] ، لأن المشارب والأقدام بحسب الاستعداد الفطرية لا بالمقبولية عند المربّي .

والقسم الأول الذي هو المربّي بقرب النبوة أهل اليقظة لهم نصيب من حضرة الذات فوق المربّي بقرب الولاية ؛ إذ مرتبة الذات نصيب النبوة الصّرفة لا يتصور فيه الولاية ، ومرتبة الصفات مرتبة الولاية سواء كانت مع الولاية نبوة أوْ لا ، ولذلك خصّ للذات سيدنا ﷺ فوق سائر الأنبياء عليهم السلام ، ولذلك سمع موسى عليه السلام ﴿**لن تراني**﴾ ، ووصف سيدنا ﷺ بالرؤية ،

مهم جداً

ولذلك كان معجزات سائر الأنبياء عليهم السلام أكثر وأظهر من معجزات نبيّنا ﷺ ، لأن المعجزات كالخوارق في الأولياء ـ رضي الله تعالى عنهم ـ في مرتبة الصفات ،

---

(١) وستجيء عن قريب . فراجعه (هامش الأصل).

(٢) انظر ص٥.

ومرتبة الذات مستغن عنها . ولذلك ادّعى من ادّعى أن ولاية النبي أفضل من نبوّته! .

وأما النبوّة الصّرفة مستغن عن الولاية ؛ ولو كانت مع الولاية! ولكن لاستغنائها عنها تسمّى النبوة الصّرفة ، فلما كان القسم الأول الواصلين إلى مرتبة الولاية الخاصّة بقرب النبوة بعدم نسيان ما سوى الله تعالى لقوّة مشاربهم ، ولكمال مشربهم ، ولكونهم من أهل اليقظة ؛ لم يحتاجوا إلى النسيان ، ولم يضرّهم الكثرة! مع أن الولاية الخاصة مشروطة بالفناء ، وهو عبارة عن النسيان كما مرّ فلزم وجود المشروط بدون الشرط .

وأراد الإمام ـ رضي الله عنه ـ أن يبيّن المقصود من النسيان الذي هو عبارة عن الفناء ليعمّ الفناء على الفريقين ، ولئلا يلزم تحقق المشروط بدون الشرط ، ويكون تعريف الولاية جامعاً . وقال : إن في طريق الولاية وأربابها لا بدّ من الفناء وهو عبارة عن نسيان ما سوى الله تعالى تمهيداً . ثم بيّن المقصود من الفناء بقوله : والمقصود من الفناء زوال الرقبة لما سوى الله تعالى .

وأما في قرب النبوة ومدارجها لا يلزم الفناء لأن فيه رقبة ما سوى الله تعالى يحصل بدون نسيان ما سوى الله تعالى وهو الفناء ، وما حصله أن الفناء شرط الولاية من حيث كون المقصود عنه زوال الرقبة[1] ، لا من حيث كون المقصود عنه النسيان مطلقاً كما هو المصطلح المشهور حتى يلزم ما ذكرناه! إذ يمكن أن يوجد النسيان بدون الولاية والفناء مع عدم زوال الرقبة بأمر آخر كالابتلاء ؛ فإن المبتلي ببلاء لا يدفع بسبب من الأسباب إلا بمحض فضل الله تعالى ، يتوجّه ويتجرّد إليه تعالى وينسى ورائه تعالى من أن الرقبة باقٍ فيه ، ولو كانت مضمراً في ذلك الوقت كما نطق به الكريم الحكيم بتوجُّه : ﴿**وإذا مسّه الشر كان يؤساً**﴾ ولكن لا يثبت النسيان فيه بعد الخلاص عنه ، بل بعد وجود أسباب الخلاص يرجع إلى حالاته القديمة ، ﴿**وإذا مسّه الخير كان منوعاً**﴾ .

وأما الفاني لا يرجع إلى رقبة السوى إلا به تعالى ، أو بأمره جلّ شأنه ، كما مرّ

(١) أي : رقبة ما سوى الله تعالى (منه).

في تعريف الفناء ولذا قيل الفاني لا يُردّ ، وظهر مما ذكرنا أحوال زوال علم الحصُوليّ من الفاني وكيفيّته بأن المراد زوال رقبة العلم لا نفس العلم! حتى يرد عليه ما أورد باختلال الدين والدنيا بدون العلم وهو الظاهر .

وأما القول بانتقال العلم من اللطيفة الفانية إلى اللطيفة الغير الفانية فثبت عند قائله .

وأما زوال رقبة العلم الحصولي لا يستلزم(١) زوال رقبة العلم الحضوري كما يقتضيه حديث : « يبصر بي ويسمع بي » الذي مرّ ذكره(٢) . فإذا تلخّص مما قرّرناه على صحيفة القبول ولو كان فوق قابليتنا لكنه إما نفس الحق أو ما يطابقه الحق ترتباً ، فاعلم أنه لا إلٰه إلا الله في عالم لا إلٰه إلا الله من الأعيان والأعراض ، ومن سائر الوسائط . أين الصورة وأين الأخبار عنها والأخبار عنه تعالى ، كما قال سيد السلسلة بهاء الدين بهاء الحق ـ رضي الله عنه ـ : كلّما خطر ببالك وانكشف بحالك ، فالله تعالى وراء ذلك .

وقال علاء الدولة السمناني ـ رضي الله عنه ـ : وفوق عالم الوجود عالم الملك المعبود .

وقال الإمام الرّباني ـ رضي الله عنه ـ في آخر رسالة « مبدأ المعاد » في تأويل حديث سيدنا ﷺ : « يتجلّى ربنا ضاحكاً » باعتبار صورة المثال ، وهو عبارة عن رضائه تعالى ، إذ عالم المثال! أما ما افترضه الإدراك في الأشياء المجرّدة أو الغائبة ، أو ما يسّره الله تعالى فيما لا يدرك ولا يطاق على إدراكه العبادة لأنه يتسلى به من فضله . وعلى التقدير الأول نوع من عالم الخيال ، وعلى الثاني عالم بنفسه بين عالم الشهادة وعالم الأمر ، وعلى كلا التقديرين لا يعدّ حقيقة محقّقة . نعم فإن فيه اكتفاءً عن المرام ، وذوقاً في الأحوال ، وآثار وَجْدٍ فوق الأخبار . والأمثال كالمجاز بالنسبة إلى الحقيقة ولذا يسمّونه بعالم التّسلّي كعالم المثال ، فظهر أن التجلّيات تسليات كما قيل لا وثوق للعقليات ولا تمسّك للكشفيات تدبر ، وأحسن

---

(١) وجه عدم الاستلزام ظاهر في نفسه ، وأما باقتضاء الحديث الشريف غير ظاهر لهذا الفقير (عبد الرحمان رحمه الله) .

(٢) انظر ص .

من احتجّ بهذه الكلمة الطيّبة : لا إله إلا الله من النصوص إلى توحيده جلّ شأنه ، وإن نسبه بعض القوم إلى الظن بلا احتساب ولا تدبّر على أنه جامع جميع أقسام التوحيد ذاتاً وصفاتٍ ، شأناً وفعلاً فاشكر الله تعالى على ما قيل من الفنية والاضمحلال فيه تعالى ، واشكره فإنها إن كانت تترك وتورث لك شيئاً عند اليقظة عنها من البسط والوجد والترقي ، ومن أنك تجد في نفسك تجرّداً ومحبّة ورقّة إلى المطلوب كأنك رأيت شيئاً عجيباً بلا كيف لم تقدر لإدراكه ، ولكن ينبعث إليك شوقك ولا يزول عنك ذوقه حتى يبقى فيك من رؤيته أثر بك تشوّش ، بل باللذة فهو المقصود ، ثم اشكر عليه ، وعليه مدار قول الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي ـ رضي الله عنه ـ الذي نقلته من أصول الأربعين : أما الفناء فعبارة على حالة تتركها الحواس فلا تشتغل ، وتسكن فيها لخيال فلا يشوش . . . إلخ .

وإلا إن لم تورث لك شيئاً فيها مما ذكرنا فهو النوم ، مع أنه وإن كان نوماً أفضل من شطحات بعض المشايخ ، لأن إقبالك إليه تعالى بنيّة خالصة ، وذهابك عن السِّوى إليه تعالى ابتغاء لمرضاته جل سلطانه ، سواء ترتب عليه الغيبة أو النوم فرضي ومأجور عند الله تعالى . وأما شطحاتهم ـ رحمهم الله تعالى ـ لا يخلو عن الخطأ . فاعبد ربّك واجتهد ، فإنه ليس بمحجوب ، والاحتجاب منا . ثم اعتبر بما ضمّنّا الكتاب من أوّله إلى آخره مما شاهدناه في أنفسنا لعلكم تفلحون عن محبة الأحوال ، وتشكرون على ما فيك من الأفضال بفضل الله المتعال .

(مطلب)

أحوال شيخنا وجدّنا وقدوتنا إلى الله تعالى ، غوث الزمان الشيخ محمود أفندي الألمالي رحمه الله تعالى .

فاعلم أني رأيت في ابتداء أحوالي يوماً من الأيام في حالة اليقظة وأنا قاعد متذكّر أو متفكّر أو متوجّه إلى المطلوب شخصين معروفين عندي من البشر ـ وأنا محسن الظن عليهما ـ أحدهما قائم حذاء كتف الأيمن والآخر داخل في جوفي ؛ يجري ويسري من لطيفة إلى لطيفة ، ومن جوف إلى جوف ، ومن عظم إلى عظم كذلك في جميع أجزاء البدن ، لكنه في باطنه كأنه يريد التخلية والتصفية ، ويهيىء منزلاً أو مقاماً لنزول شخص كريم ، كلما يأخذ من باطني شيئاً من الرذائل يعطيه إلى القائم

منهما الذي مرّ ذكره ، حتى وصل إلى تحت الروح الذي يقابله الروح ولكنه خارج عن دائرة لطيفة الروح ، كأنّ فيها جوفاً معنوياً أو مقاماً ينتهي إلى العصب المتصل إلى عظم الفخذ الأيمن من مفاصل مخزن المقتضيات والشهوات ، فأخذ من ذلك المقام مكاتب مفتوحة منتشرة وهو يطويها كطيّ السجلّ الطويل ، ونظرت إلى المكاتب رأيت ما كتب فيها ولم أقدر على قراءته ، بل لم أقدر أن أفرّق حرفاً من حرف ، فجاء بها من بين الرّوح والقلب إلى فوق السرّ ، فأخرجها مطويّة من جوف كتف الأيسر الواقع بين العنق والكتف ، فأعطاها إلى الشخص القائم ثم غابا عن النظر ، فوجدت في نفسي حالة مغايرة لأحوال البشر ، كأنّي لا عاقل ولا مجنون ، لا حيّ ولا ميت ، لا نائم ولا يقظان ، ولم أكن محتاجاً إليه ما يحتاج إليه البشر كالأكل والشرب والنوم والراحة وغيرهم ولم يصدر مني شيء منهم ، ولم يباشر إليه ، ولم يقع بالاقتضاء والاعتناء إلى مدى سبعة أيام ، وفي ذلك الأيام وجدت صورتي مغايرة عن صورة البشر وعن صورتي الأصلي ، وأوضاعاً شتى ، وأوصافاً لا يوصف بها البشر ، كأن كل الحوادث يحدث مني وبإحداثي ويفنى منّي بإفنائي ، ولكن لا بإرادتي ولا اختياري ، ثم بعد سبعة أيام وجدت في نفسي بعض أوصاف البشر ، وأيضاً وجدت فيها علوماً ومعاني ملأى سعة الخيال كأنها تتموّج كالبحر ، ولكن لا أقدر لإظهارها وإخراجها كالصبيّ الذي يريد التكلم ولا يقدر ، وكمن يحث نطقه مع أنه يقتضي التكلم ولا يقدر ، وما لقيت في ذلك الأوقات شيئاً حيّاً كان أو جماداً ، مؤمناً كان أو كافراً! إلا رأيته عزّ وجلّ معه ؛ ولكنه بلا كيف ، ولم يطّلع أحد على حالي من الناس ، ولم أظهره إلى أحد أيضاً ، غير أن شخصاً من المرَخّصين في هذه الطريقة ـ مع أنه متهم بين الناس ببعض الكبائر ـ فلما رآني خاطب إليّ وقال : لم لا تقول : أنا الحق ! وأنا كنت مغلوباً بحالي لم أطّلع عليه ، ولم أُجب في ذلك الحال . ثم فهمت أنه أدرك وعلم مني شيئاً من الأحوال ، وأنطقه الله تعالى بالاتفاق . ولم أجد في ذلك الأوقات في نفسي وجْداً ولذّة سواء في السلوك وفي الأحوال أو في الأعمال الظاهرة ، ولكني عليها بالاستقامة بلا شوق ولا لذّة ولا مشقّة كحركة الجماد ، ثم بعد سنة أو أقلّ منها رجعت إلى أحوالنا القديمة بتمام صفات البشرية ولوازمها وزال عني هذه الحال ، يعني لم يستعلِ عليّ ولكنه في اقتداري وأنا استعليت عليه ، كلما لزم وطلبته وجدته بلا تخلّف بذكر اسم

الحقّ جلّ جلاله بثلاث مرات ، ولكن لا بالاختيار بل يجري أوّلاً على قلبي ، ثم يظهر في لساني جهراً بلا فاصلة ، كأنّي صرت اثنين : واحدٌ منّي بين الخلق ، وواحد في عالم بيضاء بلا شمس ولا قمر كأنه في عالم الهواء بسيط من جهاته الستة ، ولكني قائم فيه على صورتي ، غير أنها مهيبة بهيبة الرحمانية المحبوبة للقلوب المشوقة إليها دون هيبة الرعية ، مع أني في الصورة في قعر بيتي قاعد ، وفي أن الميل إليها ، وإلى المعنى في ذلك العراء قائم وقاعد ، والقائم واحدٌ بذكرٍ واحد باسم الحق ، والقائم يجيء حال قيامه بلا حركة ، والقاعد يذهب حال قعوده بلا حركة كأنّي أنا ذاهب إليّ وجاءٍ إليّ حتى يتّحد ، والمسافة التي بيني وبين بيني المعنوي كبين السماء والأرض ، لكنه يقطع بثلاث خطوات ، وكل خطوة تقطع بذكر مرة من ثلاث مرات من ذكر اسم الحق جلّ شأنه ، فلما اتحد الأمران زالت الصورة الصوريّة فبقيت على صورتي القائم في ذلك العالم ، ووجدت الناس على صورٍ شتى ، منهم ملك ، ومنهم إنسان ، ومنهم طيور بأصنافها ومنهم حيوان كالقردة والخنازير والكلاب لكنه في صورة البشر ، حتى تمّ الحاجة من ذلك الحال والإقبال إليه تعالى وقضي الأمر وجدت نفسي كسائر الناس ، والناس على حالهم وصورهم التي هي في الأعيان إلى مدة ثلاث سنين ، ثم وجدت فيّ تسليماً وتفويضاً تامّاً إلى قضاء الله تعالى ، ولم نحتج إليه ، ولكن كلّ ما خطر ببالي رجاء شيء انتزع منّي شخص وأنا بعينه هو ، أو هو عيني ليتهيّيء ذلك المرجوّ وأسبابه بلا قصد ولا إرادة منّي إليه ثم وثم وثم إلى هنا فالحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال .

وجدت ذلّة واحتياجاً ، وفقراً ودناءة كأني أرذل شيء وأخبثه ، وأكثرهم ذنباً ومعصية وفساداً ، كأني ممزوج به ولكن أعلم أنه أقبح ، ولا نرغب إليه لعدم الرّغبة مع أنه تعالى على كل شيء قدير .

فاعتبر أيّها الأخ والحال ركعة مقبولة من أوقات الخمسة أحبّ إليّ من جميع ما ذكرنا ـ إن يسّر الله تعالى ـ ولكنه كالعنقاء ، ولم أجد غير اسمه نظراً إلى ما عملناه ، ولكن فضله تعالى رجاء كل قانط ، وعماد كل ساقط ، فإن تحرّكت الأنا المكسورة المتجزز بأجزاء شتّى ، الخالي عن جميع أنواع الخيرات ، ولو عدّه المخلصون ـ بحسن ظنٍّ ـ ينبوع الحسنات والكمالات ، يصوّت بصوت يعجب السامعين ، وتحشر المخلصين الطالبين ، وتقوّي إنكار المنكرين الضالّين ، وحسد

الحاسدين المعاندين فنعوذ بالله تعالى منّي ومن كل قلب لا يخشع . فاعلم أنك جديد العهد وصلتم إلى ما وصلتم بلا طلب[1] ولا رياضة قبل التصفية والتخلية الكاملة قبل الانشراح بتعاقب القبض والبسط والابتلاء ، بلا تجربة ولا يقظة في مدّة سنة أو أقل بفضل الله المتعال ، وأمثالنا بعد عشرة سنين أو أكثر مع وجود جميع المذكورات ، مع أن المقصود هو ـ أي الوصول إلى الحق ـ لا الكشف والوجدان واليقظة والواقعات والأحوال ، ولو كنتم الواصل إلى ما وصلتم على اليقظة مع ذلك الصفة المذكورة لهلكتم لعدم التحمّل أو لكنتم مجنوناً . ومع هذا لكفاكم سنتين بأنواع المشقات ، فإذا عشتم على هذه الصفة مقدار ما أقبلتم إليه من الأوقات لتجد نفسك فوق هذا الوصف أضعافاً مضاعفة . والله على ما نقول وكيل ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين[2] .

ثم السلام التام من الفقير الداعي لكم وعلى من لديكم بالإخلاص ، وعلى أهل بيتكم عامة خاصة على المخدوم إمام المسلمين : دا ملاّ محمد النجيب ونرجو دعائكم ، وكذا السلام من أهل بيتنا بكمال الاشتياق والمحبة والخلوص إلى أهل بيتكم كافة عامة ؛ كبيراً وصغيراً ؛ خاصّة خديجة الزمان .

السلام عليكم وعلينا وعلى جميع إخواننا المسلمين ، والسلام على الطالبين ، وعلى عامة إخواننا السالكين سبيل الخير والسلام ، في أوائل المحرم الحرام سنة ١٢٩١ في حاجي طرخان مخلصكم الداعي محمود مغلول معلوم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبحمده حمداً يوافي لجميع نعمه ، وبالصلاة والسلام على خير خلقه محمد ، عليه أزكى صلاة الله وأوفى سلامه عليه وعلى آله .

إلى العالم العامل ، أخينا الرشيد الفاضل ، الكامل المخدوم إمام المسلمين : داملاّ محمد ذاكر ـ اللهم اذكره في الملأ الأعلى كلما ذكرت أهله بمحض فضلك ،

---

(١) السلوك عين الطلب (هامش الأصل).

(٢) بهامش الأصل : تم المقابلة من خط الشيخ العالم أبي عبيدة الفقمي رحمه الله تعالى الذي كتبه من شيخه المرشد الكامل أبي عبد الرحمان الجسطاوي قدس سره.

وكمال مرضاتك فإنك على كل شيء قديرٌ آمين ـ : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه رضاء الرضاء بحق سيدنا حبيبك محمد عليه أفضل ما يُصلّى ويُسلّم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ؛ قد طلعَتْ رسالتكم من مطالع آفاق مكرمتكم ، وأصبحنا بضوئه عن ظلم مساء الانتظار ، وأنار قرّة عيوننا بإزالة الانكدار من شدة الاصطبار على الشهاب نار الاشتياق بلا اختيار ؛ التي أحرقت خيام التحمّل وأعلام الوقار ، أنار الله تعالى براهين آمالكم منتجة برضائه في الدارين بحق سيدنا محمد سند الأخيار صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وجدناها مملوءة من الارتضاء والاشتكار ، واطلعنا مضامينها من البداية إلى النهاية من الأظهار والأسرار ، كنتم سألتمونا عن بيان مراد ما وقعت في كتابنا من الغوامض في مواضع مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولم يخبره مخبرٌ في الأخبار بقولنا(من الثلاثة إلى الثلاثة) التي قيّدنا بها في تلقيني ﷺ الكلمة الطيبة .

فاعلم : معناه تثليث التلقين مع الفرق بين الثلاثتين بالتوقف ، كأنه نظم كل فقرته ثلاثة تطليقات من الكلمة الطيبة على الوترية ثلاثاً ثلاثاً .

وثانيها في قولنا : (إلى حضرة قطب الأقطاب) . أشكل عليكم من هو ؟ ومَن المراد منه ؟ ومنعت ملاءمة أول الكلام لآخرة لتوضيح المرام ولكشف الأستار ، ليتجلّى جمال عرائس الحلّ عن سرادقات الأسرار وبسطتم فيه الكلام على صورة الترديد بأنه مَنْ هو ؟ ومن المراد منه ؟ . إن كان المراد منه حضرتنا! لا يلائم أول الكلام إلى فقرة من آخره ، وهو كأنه بيني وبينه ثلاث خطوات ؛ إلا أن يراد التلبُّس بهذا المقام ، وهو أيضاً مستبعد لأنه لا يلائم لقوله لقيته ـ رضي الله عنه ـ مراراً لفقدان الترقّي اللازم لأهل هذا الشأن . وإن كان غيره! فمن المراد منه ؟ وما فائدة الملاقاة ؟ ولأي شيء يدلّ ؟

وثالثها : في حق إسرافيل عليه السلام ، ما المراد من إسرافيل ؟ إما نفسه أو التمثيل! والأمر فيه كما في الأول . ورابعها من قولنا : ثلاثاً ثلاثاً . ما المراد منه ؟ انتهى .

فاعلم أرشدنا الله تعالى وأرشدكم أن قطب الأقطاب وقطب المدار والغوث لقب

شخص ؛ شهير الاسم ، خفيّ الجسم ، اختاره الله تعالى من بين عباده الصالحين لقوام أمور الملك عوناً وغيثاً لهم ، هو أهل الخير ، ولا يخلو منه الزمان إلى قيام القيام كما هو المشهور . رواه عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله في الأرض ثلاثمائة ، يسمّى لهم البدلاء والطبقات ، قلوبهم كقلب آدم عليه السلام ، وله أربعون قلوبهم كقلب موسى عليه السلام ، وله سبعةٌ قلوبهم كقلب إبراهيم عليه السلام ، وله خمسةٌ قلوبهم كقلب جبرائيل عليه السلام ، وله ثلاثةٌ قلوبهم كقلب ميكائيل عليه السلام وله واحدٌ قلبه كقلب إسرافيل عليه السلام ويسمّى له القطب . . » إلى آخر الحديث . أورده صاحب المشكاة ؛ في « مشكاة الأنوار » .

واختلف فيه! قيل : إنه يكون غير قطب الإرشاد في كل الأزمان ، وقيل : إنه قد يجتمع القطبيّتان في بعض الأزمان في رجل واحد كالغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه . وقيل : لا يكون هو إلا قطب الإرشاد نفسه . والأوسط هو الأظهر .

فالظاهر من وصفه : هو كالشمس محرقة ؛ لا يطيق لصحبته وقربته أهل الظاهر ، وأيضاً أثقل لأهل الباطن لشدّة استغراقه ؛ إذ ربّاه الله تعالى بجلاله ، واحترق بتجلّيات الجلال فصار كالنار المحرقة كما ظهر من موسى عليه السلام آثار التجلّي إلى ما شاء الله تعالى ، ويكون خضر عليه السلام في خدمته لنظام أمره ، ومقامه مقام الاستغراق ، ومقام قطب الإرشاد فوقه في أمور الباطن لأنه صاحب التصرّف .

مطلب

ولا تصرّف لقطب المدار إذ كل ما يظهر منه يظهر بلا اختيار كأنه كالآلة ثم لا يخفى يكون للبعض من أهل هذه النسبة السنيّة والسلسلة النقشبندية من أهل اليقظة من المجذوبين السالكين في ذلك المقام حظّ ، ويتشرّف باللدنيّات ، أعطاه الله تعالى العلم اللدنّي وهو السير في حضرتي الأسماء والصفات ، ويظهر فيه الخوارقات ، إما لكونه أهلاً لذلك المقام ، وإما بالتنزّل لصاحب الصحو من أهل النهايات ، ولذلك يقال : إن الكرامة حيض الرجال ، لأن فيها التنزل لأهل النهاية ولو كان

بلا قصد منه بل بتصرف الله تعالى! كما ورد في الحديث « يسمع بي ويبصر بي » . وعدم الاختيار لأهل المقام .

ومن هنا ظهر أن الكرامة تظهر من الأولياء بلا اختيار ولا اقتضاء منهم ، وأن يريئه أهل الظاهر أنه مختار في أمره! كما أجرى الله تعالى على لسان منصور ـ قدس سره ـ : أنا الحق ، وعلى لسان أبي يزيد ـ رضي الله عنه ـ : سبحاني . قال الله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ وإلا يرضى أحدٌ من أهل التنزّل التنزل من ذروة حضرة الذات إلى حضيض مراكز الصفات .

وإن كان للوليّ اقتصار في الكرامة وطلب للخوارق لا يظهر منه شيء ، لأنه حينئذ نزلت نفسه من الملكية إلى البشرية ومال إلى الإمارة ، ومقام الإمارة ليس مقام الكرامة كيف يظهر منه! نعم يمكن أن يظهر معونة وهي لأهل البداية هذا .

نرجع إلى ما نحن فيه فنقول : لا منافاة إن فرضنا أن الملتقي والملتقى في قولنا (لقيته مراراً في شخص واحد) ؛ إذ لكل شخص صورة وحقيقية ؛ بشرية وملكية ، يخبر عنه المتصوّفة باللطيفة وبعضها بالأحدية ، وبعض العوام منهم بالرّوحانية ، والخواصّ بالنفس الناطقة ، مع أن كلاًّ منها من الحقيقة والملكية واللطيفة والروحانية في عالم الأمر يلتقيه الشخص ، والصورة في بعض الأحيان باقتضاء الوقت تجده على هيئة شخصه وصورته لكنّه أحسن وأجمل وألطف ويعلم أنه نفسه ، وفي بعض الأحيان تجده خارجاً عن وصفه ؛ بل عن وضع البشرية حتى يراه ذا الجناحين أنه قد فتح إحدى جناحيه إلى الأعلى ، وقطع هذه عالم السمٰوات كلها إلى عالم الوجود بأسرها ، وبه يصدق قول علماء الدولة (وفوق عالم الوجود عالم الملك المعبود) .

وأيضاً لا منافاة في التلبّس بهذا المقام ؛ أي : مقام القطبية ، ولا يضرّ إلى الترقي ، فالالتقاء إليه مراراً في الصورتين ليس بمستبعد ؛ إما بالتنزّل ، أو بالتلبّس بحال الغير ومقام الغير ، كما ظهر منا في داركم حين كوننا جالساً وملاّ أحمد جان الكينوي معنا في المجلس قلنا : مرج البحرين يلتقيان ، مع أن التنزّل بمثل هذا لا ينافي الترقي! إذ قد ورد عن رسول الله ﷺ : « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل » فاعتبر إذ قال سيّد الأنبياء : لي مع الله ما للفقراء وأين

أين . وكذلك لا منافاة إذا كان الملتقي والملتقى غيراً للآخر كما هو الظاهر ، والالتقاء مراراً ح سرٌّ من أسرار الله تعالى الذي يقتضيه الوقت - أي وقت الملاقاة - والقيد الآخر بثلاث ثلاث سيق مثله وبيانه . وأما إسرافيل عليه السلام : سواء كان نفسه أو التمثيل أياً ما كان لا يبعد الملاقاة إليه ، ولكن الملاقاة إليه حال كونه في مقامه على صورة أدميّ يستبعده العقل ، إذ من لوازم مقامه عليه السلام هيئته الملكية وفطرته الحقيقية لكن الحال يثبتها كيف بل يثبتها الحديث المعنعن الصحيح الإسناد . قال صاحب معالم التنزيل في تفسير قوله تعالى ﴿**ولقد رآه بالأفق المبين**﴾ عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : إني أحبّ أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء . قال : لن تقوى على ذلك . قال : بلى . قال : فأين تشاء أن أتخيل لك ؟ قال : بالأبطح . قال : لا يسعني . قال : في منى . قال : لا يسعني . قال : فبعرفات . قال : ذلك بالحرى أن يسعني . فواعَدَه ، فخرج النَّبي ﷺ للوقت فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ؛ رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ، فلما رآه النَّبي ﷺ كبّر وخرّ مغشياً عليه ، قال فتحوّل جبريل في صورته فضمّه إلى صدره وقال : يا محمد لا تخف ، فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة ، وإن العرش لَعَلىٰ كاهله ، وإنه ليصير أحياناً من مخافة الله تعالى عزّ وجلّ حتى يعمل مثل الاصبع يعني العصفور ، حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته! انتهى .

فاعلم ؛ مثل هذه الأمورات ذوقيّة ، يستشهده الذوق ويقرّبه ، وإلا! تنكره النفوس البشرية ما لم تتبدّل عقول الملكية ، فإذا رأيت مثل هذه الأمورات في الكتابة ، أو سمعته من الأفواه لم تسأل عنه ، ولم تكن في طلبه ، وسلِّم أمرك إلى الله تعالى حتى تذوق في نفسك ، وإن لم تذقه فاشكر الله تعالى لأنك صانك الله تعالى من ورائه جلّ شأنه .

ولهذا الفقير في هذا المقام يدٌ ، يمكن أن يقول يدٌ بيضاء ، ولكنه يحرقه حضرة الذات بنار البرودة كأنه لم يكن . فالحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال ، وصلى الله تعالى على رسوله محمد هادي الحال والمقال . رزقنا الله تعالى شفاعته ورزقكم في الحال والمآل ، والسلام .

وأيضاً كنتم سألتمونا عن سنن التربية ، وسنّته الظاهرة اللازمة مكتوبة في كتب المتصوّفة المتداولة ورأيته في نفسك لا حاجة إلى الكتابة ، وأما كمال اللطائف في الذكر ؛ وفي كل مقام من المراقبة وغيرها ليس على نهج واحد بل يختلف باختلاف الطبائع والقابلية ، وفي معرفة كماله يحتاج الشيخ إلى الصفاء التام حتى يكون كالمرآة ، ثم يتوجّه إلى الطالب بتمام قوّته ولطائفه ومقامه لا بقصد الإفادة ؛ بل بمطلق المقابلة كمقابلة المرآة لمن قابلها ، حتى يجري ويسري حرارة الفيض في الطرفين التي يذوقها ويحسّها القوة الماسَّة .

رتبة أهل النهاية

ثم يلاحظ في نفسه ، فكلما يظهر فيه يظهر بالعكس من أحوال الطالب القابل ؛ إذ لا حركة فيه من أنواع الأحوال بل هو على قرار وسكينة تامّة كالغفلة المحضة ، لأنه وجد ووجد أنه وجد ، ثم فقد وفقد أنه فقد وصار كالماء المتجمد لا يضطرب ولا يتحرّك . هذا هو رتبة أهل النهاية .

وأما صاحب الحركة من المتوسطين ليس كذلك لأنه لا يخلو عن التردّد والاضطراب ، بل هو كالنار المحرقة يلزم له الدقة بالتفتيش في أحوال الطالب ظاهراً وباطناً من الأخلاق والأعمال والأفعال والواقعات والمقارنة والمجانسة سرّاً وعلانية ، لأن كل مقام وكل مرتبة أخلاق وأعمال وأفعال وواقعات ومقارنة ومجانسة سرّاً وعلانية ، ولذلك يلزم للشيخ الأخير حضانة الطالب في الذكر أو في المراقبة أو في المقام مقدار سنة أو ستة أشهر بقابلية الطالب واجتهاده إن آثر أمر السلوك على سائر الأمور حتى يكون ذلك الذكر والحال له ملكة ، إذ الشيخ صاحب الحركة كالنار المحرقة يمكن من يقابله من الطالب يتنوّر ويتوقّد في حال المقابلة كشجرة موسى عليه السلام ، مع أن ذلك الحال ليس له من قبل وليس له ملكة ، فيخاف عليه إن فارق من مجلس الشيخ يعود إلى مقامه الأصليّ لأنه لم يملكه فافهم التراخي من الوهن .

وإلا إن آثر أمور الدنيا على السلوك! فكل ذكر وكل مقام هو فيه يكفيه ، مع أنه يخاف عليه أنه لا يحفظه بحق الحفظ فلا حاجة إلى الزيادة ، والانتساب إلى النسبة العليّة إن حفظه يكفيه فقط والسلام .

صاحب الوهم ألين في قبول الأثر

ثم كتبتم إلينا من أحوال بعض الإخوان في حق الأوهام الفاسد ، فيهم!!

فاعلم أن الوهم إما طبيعيّ فطريّ أو عارض ، والطبيعي لا ينقطع صرفاً بل ينقص حتى لا يضرّه في الأمور ، وإن صاحب هذا الوهم يكون ألين في قبول الأثر من غيره ، ويكون أسرع سيراً وأسرع فطوراً يلزم عليه أن يكون على محافظة أمره ثابتاً لكونه سريع الوجدان وسريع الفقدان ، والمحافظة النافعة التامة له محافظة نفسه على التوكّل والتسليم في أموره .

صاحب الوهم الطبيعي سريع الوجدان والفقدان

راعياً لما يراعيه الصالحون من عباد الله ، وأن يفوّض ظاهره وباطنه إلى القضاء بالجرأة التامّة ، وأن يتفكر في معنى (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) ويؤمن به ويعتقده بكمال الاعتقاد ، وأن يعمل بأعمال الصلحاء وأن يراعي مجالسهم ، وأن يجتنب من مجالس أهل الخطرات من أهل الفساد والمنكرين ، وأن يشتغل بالأذكار ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ والتفكُّرُ أيضاً من الأذكار بل أعلاه ، والوقوفُ على القلب بإخراج جميع ما سواه جل شأنه بالبحث والسكينة المحضة أرقاه .

الله أعلم أني لست أذكره   فكيف أذكره ولست أنساه

نعم جاء أيضاً ـ أي مثل تطمئن القلوب ـ تقشعر القلوب ومآله يعود إلى الاطمئنان فيلزم له الصبر حتى ينقص الأوهام بالتجربة ويملك الجرأة من أمره .

حديث النفس ينشأ من عدم التسليم

والوهم العارض ينشأ من حديث النفس ، وحديث النفس ينشأ من عدم التسليم ، فاللازم للطالب التفويض العامّ في أمره إلى القضاء بقطع العلائق من مقاصد النفس والهوى ؛ حتى يتساوى له الحياة والممات ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، بل كل الخير والشر .

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على   حبّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

والطالب الصادق يتوب من أول توبته عن الدنيا وما فيها ؛ كمن شرب الدم في بطن أمه ثم رجع إلى أكل الطيبات ، فمن الظاهر لا تميل النفس إلى شرب الدم بعد

الطيبات ، كذلك لا يمنعه فناء الدنيا وفناء ما فيها عن أمره الذي وجّه إليه وجهه ، ولا تموت النفس بخطرات ما غسل الطالب يده منه في أول وضوئه ولا جل ذلك . يقولون : يلزم للطالب أن يكون كالميت بين يدي الغسّال في أمام الشيخ ، وليس للميت وهم من الأوهام لأن مقصوده هو الذات المتوجّه إليه ومطلوب رضاه ، وكلما رضي الله منه خيراً وشرّاً يرضاه .

وإلا إن كان فيه نوع من الاقتضاء وشمة من الترجيح بين النفع والضرّ تحدثه النفس وتلقي على قلبه عاقبة الأمور .

ثم الطالب إن لم يخرجه عن قلبه (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) وأحرزه في قلبه وتفكّر في خيريته وشرّيته ينشأ منه الوهم للوجل والغضب المتهور يكون غنياً من أمر التوجه إليه كما ورد في الحديث : « من تفكر في العواقب لم يشجع » .

فاعلم أن هذه المهلكة[1] أمّ لجميع أمراض القلوب يتولد كلها منه من الأخلاق والأعمال المفسدات ، فهذا القدر يكفيكم ويكفي لسائر طالب الرشد من أهل الخير ، والله الهادي وإليه المآب .

الطمع والسؤال من أقبح الخصال

ثم أوصيكم أن لا ترضوا للطالبين من طلباتكم من أهل الظاهر والباطن إن فهمتم فيهم الطمع والسؤال ؛ وكلاهما من أقبح الخصال ، وأشنع الخصال الذميمة المفسدة في نفسه ؛ خاصة لأهل هذه النسبة العلية من أربى الربا .

وصلى الله تعالى وسلم على من قال الله تعالى في حقه : **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** وكفى بالله شهيداً محمدٍ رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمود بن الحاج محمد أفندي الداغستاني قدس الله سره العزيز ؛ في انتصاف شهر جمادى الأولى في بلدة جسطاي سنة ١٣٠٢ من خط أبي عبيدة الفقمي من خط الألمالي قدس سره.

---

(١) أي كون الطالب على اقتضاء أمر غير مقصوده المتوجه إليه سواء كان فيه شر نفس المقصود كطلب الولاية والإرشاد وطلب الجنة منه مما يسعى فيه، أو من الخارج كالدنيا وما فيها (منه؛ رحمه الله).

ثم اعلم أن محونا من جميع الوجوه مستوجب الحمد والثناء ، فالحمد لله تعالى حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيد إنعامه ، سبحان الله الذي لا تحصى نعمه ولا يُحصى ثناؤه ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ، ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ فكيف إيفاء النعم واكتفاء الإنعام إلا العجز والاعتراف بالتقصير ، ثم الحمد لله والمنة لعل الله تعالى أن يجعل نحوكم العالي كذلك بل أحسن وأزكى فإنه على كل شيء قدير ، ومما يرجى ويظن به جل شأنه جدير .

أيها الأخ الصادق ؛ وصل مكتوبكم العالي ، ووجدنا به وجداً عظيماً ورضاء كريماً رضي الله تعالى عنا وعنكم وعن جميع إخواننا الصالحين ، وظهر منكم أنكم تعجبتم عن حكمة أمر وقع على نفسي وقرّ فيها ، مكنونة عندكم حكمته عن الفهم ومظنوناً بالقبح قراره ، نعم هو الذي وعدنا به قبلُ في كتابنا الأول بتفصيل كتابة كتابنا الآتي بما في الصدور ، وبما وقع في أنفسنا وقرّ فيها ، ولم يناسب في موضعه بيانه لضيق الوقت مع ألم البدن من الضعف الطاريء بالمرض ، مع أنه وجب علينا من أطوار إخواننا وأحوالهم الذي فيهم ، مما يضرّهم سرّاً وعلانية في إرادتهم وسلوكهم وإيقاظهم عما يذهلهم ، وفي أطوارهم الذي ينافي صدق نيّتهم ، وأيضاً عاقتني فقري واحتياجي عن بيانه خوفاً منّا عن عروض سوء ظن منهم عَلَي وخطور التهمة في قلوبهم ، لأن هذا الظن والخطور يضرّهم ضراً يساوي ما استفاضهم واجتناهم عن أخيهم المربي صفاءً بكدر ، وفيضاً بحجاب .

ولأجل ذلك قال السلف عليهم الرحمة : يلزم للشيخ المربي أربعة أشياء : السن بالكمال ، والكفاية في المال ، بعد تكملة القال والحال ؛ حتى لا يزور أبواب إخوانه بل يزور الإخوان بابه ويربّيهم . هذه الأربعة . انتهى .

ثم نشرع إلى ما وعدناه : **اعلم** وتدبّر أن للسالك اسم مسلك القرب والمحبة والفناء والبقاء والرضاء واللقاء عقبات .

أولها : **الخلق** ؛ أي إلفتهم واختلاطهم! فعلاجه الخلوة ، وهذه العقبة سهلة الزوال .

وثانيها : **الشيطان** ؛ وهي عقبة مطلقاً ؛ لا خير فيها أصلاً ، ولا يرجى منها إلا الضرر المحض ، فعلاجه تصميم الإرادة وصدق النيّة ، وهي أيضاً سهلة الزوال .

وثالثها : **الدنيا** ؛ وهي أيضاً عقبة مطلقاً لا خير منها ؛ أي ما لم يترك حبّها حتى تكون كحجر الاستنجاء ، أما إذا ترك حبّها تكون من مبادي الخيرات ومن العبادات ، وسبباً للمكنة التامّة في جميع أعمال الحسنات ، ووسيلة لارتفاع الدرجات ظاهراً وباطناً ؛ صورة ومعنىً ، وهذه الدنيا هي الممدوحة في الحديث بنعم ، وإلا! مذمومة مطلقاً لا خير فيها ـ كما مرّ ـ . وهذه العقبة مما عسر زوالها إلا بتشمير الساق وشدّ الوثاق .

ورابعها : **النفس** ؛ وهي الموصوفة المشهورة ، والعلماء مستغن عن وصفها لكنها لكونها أضرّ العقبات وأغمضهن وأغلظهن وأصعبهنّ علاجاً ، وغير ممكن الزوال بحال من الأحوال ، وما سوى المُدَاراة بإصلاحها غيرُ مطموع عنها ، لأنها قبل إصلاحها لا خير فيها بوجه من الوجوه ؛ فصّلنا في أوصافها بما ألهمنا به ، ولا يخفى أن إصلاحها باطمئنانها ، وكمالُ اطمئنانها بالوصول إلى مقام الرّوح ، فحينئذ تكون مطيّة الروح بعده ، ومن أوصافها اللازمة **الطبيعة** التي هي عبارة عن الملكة وهي **العقبة الخامسة** ، ولا يخفى أن الإمام حجة الإسلام محمد الغزالي عليه الرحمة والرضوان لم يذكر الطبيعة ولم يعدّها عقبة بنفسها ، لكونها من صفات النفس ومن ملكاتها ، وكفى بذكر موصوفها!! ولكن اللازم ذكرها على حدة لأنها لا تعالج بعلاجها ولا تزول بإصلاحها ، بل تبقى على حالها سواء كانت النفس مطمئنة أم لا .

والطبيعة ؛ إما جبليّة ، أو مألوفة ، وكلاهما لا يخلو عن أن تكون من المكاره أو من المحاسن أو من غيرهما .

وأما الطبيعة بالمكاره مطلقاً مانعة عن الكمال لا خفاء فيه .

وأما الطبيعة بالمحاسن مانعة بالاعتبار كبِرِّ الأبرار المانع عن الترقي إلى مراتب القرب والمحبة واللقاء ، وكذلك حال المألوفين بالأحوال والكشوفات وحال للصدّيق في وسطه حضرة الصفات المعتادين بالخوارق والكرامات ، المانعين عن العروج إلى معارج ذروة الذات مع كونهما محاسن ، وإلا ليس من المكاره ولا من المحاسن ، كما قال سلمان ـ رضي الله عنه ـ لعلي ـ رضي الله عنه ـ : هذا الذي أخّرك إلى الرابعة ، فظهر أن الطبيعة بأقسامها مانعة من الكمال ؛ بعضها بنفسها وبعضها بالاعتبار .

والجِبلّيّة صفة غير منفكة لا تزال إلا بالمشيئة ، وعلاجها غير طموع ، والمألوفة ممكن الزوال ومرجوّ الصلاح والعلاج ، لكنه بالصعوبة وبالرياضة الشاقة أو بالقصير . فالطبيعة توجد مع النّفس قبل الاطمئنان وبعدها ، ولا تعالج بعلاج النفس فصارت عقبة بنفسها مانعة عن الترقي إلى ما فوقها كما مرّ .

والحاصل ؛ أن الاتكال على النفس في جميع مراتبها حرام كما ورد به الحديث : « رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين . . . » صدق وبرّ صلوات الله تعالى عليه .

ثم **اعلم** أن الدنيا المذمومة عبارة عن قسمها المحبوبة خلاف المتروكة حبّها ، أما المحبة بمقدار ما أنه لقضاء الحوائج ـ كما مرّ في حجر الاستنجاء ـ مسكوت عنه . وأما الحبّ بالزائد عنه حرام محض .

بقي أن الكيفية في كثر المقدار من الدنيا كالدفائن والذخائر ؛ وإن عامل أهلها بمعاملة الشرع فيما يتعلق على حقوقها ابتلاءٌ محضٌ أو حرام ؛ على ما رواه أبو ذرٍّ رضي الله عنه .

وأما الجهد على تكثيرها ليس بمرضيٍّ في مذهب الصوفية احتياطاً عن إلهاء سورة التكثير ، الدنيا رأس كل خطيئة ورأس كل خديعة ، ولا يرى خدعها وخطيئتها عند حبّها إذ محبّها كالسكران ، أليس حبّ الدنيا مفسدَ الأعمال ومخرب القلوب ؟! بلى إنه مورث آفات القلوب في جميع الأديان ، ومنبع الأخلاق الذميمة كلها ومزيل الأخلاق الحميدة ، وسبب زوال الإيمان في بعض الأحيان ، إذ محبّ الدنيا لا يخلو عن النفاق ، كأطواره وأفعاله وأقواله حين معاملاته بها ، حبّ الدنيا شجرة لا ينبت قلب مَنْ ذاق حلاوة إيمانه ، ومن أثماره الحرصُ والحسد ، والبخل والغضب ، والجزيزة والكذب ، والرياسة والنميمة وعرض المسلم ، والافتراء والبهتان ، وعدم التوكّل ، وعدم القناعة ، إلى ستة وستين من الرذائل . . . ولأجل ذلك أمر السلف للطالبين بالزهد عنها لأن الطالب الذي لم ينقطع عنه حبّ الدنيا وبقي فيه من شائبة ليس من أهل الحضور الدائم ولا شك يكون ذلك سببَ الفتور في عبادته ، مع أن محبّ الدنيا لا يقدر أن يتصدّق بصدقة ، وأحسن بإحسان ، وأهدى بهدية لما يعتريه من الخواطر المفسدة ، إحداها التي تفسدها ؛ أو تفسد ثوابها كالمنّ أو الحيلة بأدائها ، أو

العجب أو الاغترار ، أو الأذى أو سوء الظن إلى المستحقين بعدم الاستحقاق ، أو تذكرها مع ذكرها لطلب الرياسة ، أو لجلب حسن الظن إذ الطبيعة مجلوبة بحبّها . ومن المعلوم أن المحبّ يعظم المحبوب ولا ينساه كفاقد شيء من جملة ما يحبّه ، مع أن فقدان المحبوب يوجب الحسرة والندم وكلاهما يورثان تلك المفاسد بمواضعه .

والحق الأحقّ يجب لطالب الحق وسالك ذلك السالك المدقق فيه ترك حبّ الدنيا إن كانت موجودة عنده ، وإن لم تكن موجودة فالقناعة واجب ، وإن كانت موجودة ولم يقدر على ترك حبّها فالواجب ترك نفس الدنيا ، وإن لم يقدر عليهم فترك طلب الكمال .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسّه الشر جزوعاً ، وإذا مسّه الخير منوعاً ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حق معلوم﴾ الآية . فحركتم بما تحركتم ظهر ما أضمر في لجّة أنفسنا وقرّ فيها وصار سبب سوء ظني على الاخوان بأنه لم ينقطع عنهم عرق بعض العقبات المانعة من الكمال ، ومن هذاالمقام يتكدّر قلب أهل القلوب للطالب المطلوب كماله ، لا لنفس مَنْ تكدّر قلبه بغير وجه من الوجوه الظواهر . ولا يخفى أن الأمر الماضي نشأ من المقدار الذي أعطيتموه لأجل تل غراف(١) ، وأعطيته كأنه ضاع وصاع في الواقع ، وصار سبباً للتكدر والمرض لكونه مضمراً في قلبي حتى ظهر لكم وجودها في صدري ، ولو خفي كيفيتها عليكم! والماضي خلاف الحال والاستقبال لأنه مضى وقضى لا تحزن ولا تضيّق بأمثالها قلبك .

أسأل الله تعالى العفو والأمان من شرور أنفسنا ، وأستغفر الله تعالى من قبائح أعمالنا في الماضي والحال .

هذا ؛ ثم السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وكمال غفرانه ، وأتم رضوانه بكمال الرضاء ثم الاسترضاء ، ثم الرضاء ، ونسأل الله تعالى أن يرضيكم عنا بفضله ؛ وإن لم نكن أهلاً فإنه أهل .

---

(١) وتل غراف اسم للخيط الحديدي يعلم به الخبر من الغائب كما هو مرئي وموجود في جميع البلدان.

ثم شكيتم في كتابكم بالنقصان وبفقدان ما وجد وبقلّة الوجدان ، فاستقم وثق بالله الرحمان ، ثم تفطّن أن كلما وجد على الاستقامة بالشريعة ثم فقد على حال الاستقامة فيها بلا فتور ولا نقص مناقبها فيما أوصينا به لا يُعدّ نقصاناً ، ولا يتوهّم فيه خسران ؛ بل بشارة الكمال إذ الفقدان بعد الوجدان على ما قرّر إلى ثمرة الترقي وثمرة البقاء إذ البقاء عبارة عنه .

وأما قلة الذوق أو عدمها في العبادة إن لم يترك من شروطها شيئاً ولم ينقص من أركانها ، وكان في العبادة كأنه مجبور بها مع أن النفس تعمل بها كالآلة الجامدة بلا ذوق ولا شوق كالمشقات المعتادة بلا خوف من النيران ، ولا لطمع من الرضوان ؛ بل استحياءً من الرحمان هي كمال الفناء ، وأول قدم البقاء كما قال سيدنا سيّد الطائفة جُنيد ـ رضي الله تعالى عنه ـ : التلذّذ من العبادة شرك . انتهى . يعين كلما يحبّه القلب ويهواه سواء كان من العبادة كالصلاة والتلاوة ؛ أو من آلة العبادة كالمصحف والسجادة حجاب عليه من قبيل قوله تعالى ﴿إلٰهه هواه﴾ انتهى .

فهم من مكتوبكم رجائكم في أثر المبارك هذا أزيد من سائر الأوقات إلى كمال الرحمة ، نعم وكنا كذلك مترقباً حتى فهمنا في العشرة الأخيرة كأنكم غرقتم في بحر الرحمة ، وألبستم بلباس الرحمة وبأعلى الدرجات ﴿وقل رب زدني علماً﴾ والسلام .

وأيضاً مما يخالج في قلبي أن أكتب إلى الإخوان المحاسبة في أنفسهم بأن يقابلوا أعمالهم وأفعالهم وأطوارهم وشعارهم مقابلة أعمال الصلحاء ، هل توافق أم لا ؟ ولا أقول يجب الموازنة بالمرشدين والمسترشدين في عصره وزمانه ، أو بمن يساويه حسيّاً في الدين وهذا صورة المحاسبة الصوري والمحاسبة المعنوي : أن يقوم كالميت بين يدي المولى بعبودية وأمام مولوية الجبار ، بأن يحاسب حقوق العبودية وحقوق المولوية ، ثم أن يوازنوا بميزان الإنصاف أعماله وعبوديته ، هل يصلح له شيء إلى المولى الكريم أم لا ؟ ثم يحاسب في نفوسهم يوم السؤال والحساب ، هل يقدر الجواب ؟ أله حيلة من أنواع الحيل بين يدي الناقد البصير !؟ وهل له طاقة وتحمّل للفضاحة يوم الفزع الأكبر !؟ وهل له طاقة الاستماع بعد قوله تعالى ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ إلى ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ ؟ أم له

مفرّ ؟ كلا! أين المفرّ وإلى ربه المستقر! مع قطع النظر عن العقوبة بالنار والسلام .

محمود بن الحاج محمد أفندي الداغستاني
رحمهما الله تعالى ، وقدس سره العالي .

وبعد ؛ قد وصل إلينا مكاتيبكم العلية مرات ولم أنل إلى جوابه لعدم الفراغ من الأمراض ، ومن ألم القلب هو أشدّ الأمراض مع كثرة الأشغال بعد الفراغ من حضرتكم العليّة إلى الآن ، مع أني الآن (لا إلى ولا إلى)[١] رضي الله تعالى عنكم وعنا وعن جميع المسلمين فهمنا ما فهم من البداية إلى النهاية .

كنتم سألتموني عن بديع المصنوعات الجامعة الأضداد من الحسن والقبح من أعلى مراتب قدسية الملكية إلى حضيض دناءة البشرية وعليها خطاب الله تعالى العلية وبه نكلف ونحاسب ، وبه نثيب وعليها نعاقب ، مع أن البشر عبارة عنه وما يترتبّ عليها من الأبدان والقوى من لوازمها ، وهل المالكية في ملكها بمشيئة الله تعالى ألا وهي النفس وفيها أقوال العلماء المشهورة المتداولة مستغن عن البيان .

والمرضيّة ـ عندي ـ هي : الجوهر اللطيفة النفسية كالمرآة ولها وجهان :

وجه إلى البشرية ولذا يُعدّ من عالم الملك ، وفيه مراتب : أمّارة ، لوّامة ، مطمئنة .

ووجه آخر هي الملكية وهي أيضاً ذات المراتب : راضية ، مرضيّة ، سليمة[٢] والحق أن هذه الثلاث مرتبة الرضاء . والمرضيّة السليمة القدسية من شعب الراضية .

ثم الأمّارة في مطلق الإنكار الكفر[٣] .

واللوّامة أيضاً لكنها تميّز الخبيث من الطيب ، وبالخبث تلوم وتسرّ بالطيب ، ومن هنا ابتداء رياسة النفس ومغروريتها في العبادة .

والمطمئنة كالمؤمن المضطرّ في إيمانه ؛ تميّز الخبيث وتهجره ، وتحبّ الطيب وتنقاد ، ولكن صفتها الطبيعية الجبليّة متضمنة فيها وإن لم تظهرها لخوف الهبوط

---

(١) يعني لا إلى الفراغ ولا إلى المرض. بل بين بين؛ لا إلى هذا ولا إلى هذا (عبد).
(٢) وأيضاً تسمى نفساً قدسيّه
(٣) وتراها في نفسها حسناً ولا تميّز الخبيث من الطيب (منه؛ هامش الأصل).

عن الدرجات العالية بينها وبين الله تعالى مع أن اقتضاء الخبائث لم ينقطع عنها[١]

وهذه الرتبة من رتبة اللوّامة إلى نهاية مراتب المطمئنة مرتبة الاجتهاد ومثالها في المطمئنة مثل الكلب المعلَّم يعمل ويطيع الصياد ، ويصيد في نظر الصياد ولا تخالفه إلى ما غفل عنها الصياد ، فلما ألقى الصياد ربقتها عليها وغفل وعلمت أنها لا قائد لها ولا خلاف أنها تخالفه ، وسبب المخالفة المقارنة[٢] كما أشرنا إليها هي الجوهرة اللطيفة النفيسة كالمرآة تنعكس عليها عكوسات ما قارنها من الحسن والقبح ، ولأجل ذلك قال أهل الخير : الطبيعة سارقة والأقوال سارية ، وهذا المقام لا يخلو من شائبة الرياء ، ولكنها تعدّ وقاراً لرجوعه إلى الخيرات كتزيين الشيخ وتزيّيه في نظر الطالبين ، أو لتصيّد قلوب الناس لإهدائهم إلى سبيل الخير .

ثم لا يخفى أن السير في هذا المقام مختلفة باختلاف طبائع الطالبين من أهل اليقظة والغفلة ، وأهل اليقظة يرى نفسه خارجاً عن شخصه مفارقة عنه ، نعم فإنها تفارق عن شخصه لتجرّد الروح عن النفس ، وأما المفارقة في النفس اللوامة يوجد أحياناً كمفارقة شخصين مغايرين[٣] ولكن المفارقة بالانتزاع بفناء لطيفة من اللطائف

---

(١) [فإنها لما وصل إلى مقام القلب اضمحلّت فيه ورجعت إلى الانقياد، وأما الانقياد والاضمحلال إما بمحبة الاخوة بينهما وإما بالفناء على صورة فناء القلب، ولكنها مردّده في الأول ولو سميت في الأول مطمئنة، واطمئنانها وصف بلا حكم، ومطمئنة تامة في الثاني وهي بعد الوصول إلى نهاية القلب؛ هذا وقت المؤانسة مع الروح ووقت العروج إلى عالمه ثم الراضية. ثم السلام (منه؛ قدس سره العزيز اللهم ارزقني فيوضه وبركاته بحق جميع الأنبياء والأولياء وخاصة بحق سيد الوجود سيدي وسندي ومولاي ورسولي ﷺ وآله وأصحابه أجمعين، آمين يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الوهاب الودود الحبيب] (هامش الأصل).

(٢) [وهي الفعل الموفق بمقارنة الروح لكونه كالوزير والمدبّر المطاع بتوفيق الله تعالى للنفس مع الأخوة بينهما لأن الروح كالأب والنفس كالابن الصغير له، والقلب والعقل كالأبناء الكبير للروح، وسبب المؤانسة والاتحاد في الامارة هذه الموافاة والإضافيات، كما تكون وسيلة لميل النفس إلى ارتقاء عالم القلب وإلى عالم الروح في الراضية. والسلام (منه؛ رحمه الله تعالى).].

(٣) على صورة خبيثة كالكلب مثلاً أو على صورة رجل مفسد أو على صورة أجنة أو على صورة كافر، هكذا مفارقتها والسلام. (منه؛ رحمه الله تعالى). =

على صورة نزع الروح بالعروج إلى عالم الأمر في نفس المطمئنة ، فحينئذ يراها الطالب على هيكل شخصه ولكنها بالأظفار المفترسة كأظفار الأسد بل أشدّ منها[1] كأنها تنظر الفرصة للافتراس . نعم فإنها خارجة فارقة عن شخص الطالب ، ولا تمسّ الطالب ولا تلاصقه ، ولا تتحد مع الشخص في وقت الاستقامة والنزاهة إلى أن يصدر عنه من المكاره ، فإذا صدر عنه المكاره تمسّه بأظفارها من عضوه الذي صدر عنه هذه الكراهة ، وإن زاد الصدور زاد المسّ والالتصاق ، ثم إن اشتدّ عليه حبّ الشهوات وغلب عليه الذهول تتحد مع الشخص يصدر عنها المخالفة والناهي بطول الأمل والكسل ، وتسويف العبادات وتضييع الأوقات كما صدر عن سليمان عليه السلام ، وهذا المقام هو الذي وصفه مولانا الإمام الرباني ـ رضي الله عنه ـ في مكتوباته : يد صدكه كردد ازفعل خودش نكددد « يعني وإن كانت مطمئنة لا يتكأ عليها ولا ينقطع عنها الميل إلى الفساد ، ونطق به الورود والخبر وعلى صاحبه ألف ألف صلاة وتحيّات مقدار ما يخالج القلوب ويتحرّك الصدور بقوله ﷺ : « ولا تكلني على نفسي طرفة عين » مع أنه ﷺ قال : « أسلم شيطاني » عند مَنْ قال المراد من الشيطان الشيطان الأنفُسي .

هذا ؛ والراضية والمرضيّة القدسية أيضاً لا يتكأ عليها ولا يبعد عنها المخالفة ؛ أي لا يعدّ محالاً ، ولأجل ذلك قال الجنيد ـ رضي الله تعالى عنه وعنا وعن جميع إخواننا آمين ـ في جواب السائل عن ارتكاب الوليّ على الكبائر وعن معصوميته وعن محفوظيته عنها : يفعل الله ما يشاء .

ولكن الراضية المرضية القدسية أبلغ من المطمئنة بمراحل[2] فإن النفس الراضية تتحد مع الروح ، وتفارق عن شخصه العنصري على هيئة ملك كريم بلا فرق ، ولا يرى فيها شيء من شوائب البشرية ، مع عدم استحالة رجوعها إليها ، وهذا المقام كمال النفس ، والنفس الناطقة والروح والفعل والقلب متّحدٌ في هذا المقام[3]

---

(١) أو مسوّد الوجه ملوّث الجوارح (منه؛ رحمه الله تعالى).

(٢) لأنها ارتقى من مقام النبوّة وهو مقام القلب إلى مقام الأبوّة واضمحلّت فيها بفنائها على صور فناء الأب وهو الروح (منه؛ رحمه الله تعالى).

(٣) وهذا المقام مقام العبودية كما قال الله تعالى ﴿فادخلي في عبادي..﴾ الآية، الخالصة =

ولو يكونوا متحدين في الحقيقة ، وأيضاً يتحدون في الأمّارة . وهذا ما حققنا وإن اقتصرنا في البيان واكتفينا بالمجمل ، ولا ينافي الهياكيل للمحقق الدواني ـ رحمه الله تعالى ـ أرقى وأزكي تحقيق آخر(١) وأثبته بالبراهين ، وأبلغ في بيانه موافقاً على مذهب الصوفية كثّر الله تعالى سوادهم .

محمود الفعال الألمالي رحمه الله تعالى .

مهم

والرخصة للعوام في جميع الأحكام ، وللخواصّ ليس فيه نصيب ، ولا يخفى أن مراتب الأمر والنهي كما في كتب الأصول أخصّ للخواصّ خلاف العوام في مذهبنا الصوفية ؛ مثلاً للسنة حكم الوجوب وللمكروه حكم الحرمة من قبيل « حسنات الأبرار سيئات المقرّبين » . اللهم اجعلنا من خواصّ وأخصّ خواصّ عباد الله تعالى الصالحين .

محمود الفعال مرضيّ الخصال قدس الله تعالى سرّه العزيز

وصية شيخي وسيدي وجدي غوث الزمان محمود أفندي الألمالي

ثم اعلم أيها الأخ العالم الرباني الوفي بترويج سنن السادات السني ، والعمل على ما كان عليه السلف الصالحون هذا وصيّتي إليك أولاً وآخراً ، سرّاً وباطناً ، بعد البعد وراء الوراء إلى ما يحيطه الآراء ، وينتهي إليه تعالى الأزمان والأبعاد ، والأحيان والأضداد ، من الآزال والآباد ، الاستقامة ثم الاستقامة! ثم المحاسبة بالنفس في النفس ، واتباع السنة وملازمة الوقت والفرصة ، وترك البدعة واتقاء الرخصة ، والرأفة لخلق الله تعالى لرضائه تعالى ، والترحم عليهم ما أمكن ، وتحمّل الأذى منهم ما تقدر ، وترك المخالطة معهم في الباطن ، والتجرّد فيه إليه

= لله تعالى ولرضاء الله تعالى جل سلطانه وعمّ نواله ينتهي فيه الجلال إلى الجمال. والسلام (منه؛ رحمه الله تعالى).

(١) في حقيقة النفس ولم يتعرّض إلى مراتبه من الأمارة والاطمئنان وحكم ببنائه وعده بالروح واحداً وأثبته بالبراهين (منه؛ رحمه الله تعالى).

جلّ شأنه ، ولو كنتم في الكثرة صورة كن بالعزلة والوحدة معنىً وحقيقة .

فوض أمركَ إليه تعالى جل سلطانه في جميع الأمور ، فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ، ولا يغرّنكم بالله الغرور .

واجتهد بما أُمرتَ أَمَركم الله تعالى بالإرشاد والإهداء ، ولو بلسان عباده ، فإن ألسنة الخلق أقلام الحق ، وبه يحق الحق ويبطل الباطل ، فإذا جاء الحق زهق الباطل فإن الباطل كان زهوقاً .

محمود الفعال أفندي الألمالي رحمه الله تعالى

أيها الأعزّ رزقنا الله تعالى ورزقكم الترقي في جميع أمورنا الصالحة لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام ؛ موافقاً لرضائه تعالى ولرضاء رسوله ﷺ .

ثم يلزم أن تلازم الحضور ، وتذهب إليه بالذكر بداء .

ثم إن استقرّ فيه بقدر ما يسع وقتك وقدرتك في الخلوة والجلوة ، والقيام والقعود ، والذهاب والصعود والهبوط ، ويلزم أن تنظر بعين الخيال مع الهمة إلى النقطة الواقعة في وسط القلب بلا ملاحظة صورة القلب وصورة النقطة ، بل يفرض ويلاحظ أن ذلك النقطة التوحيد الذاتي والتوحيد الشهودي والتوحيد الوجودي الذي يستغرق جميع المشاهدات والموجودات ، وجميع ما سوى الذات سبحانه حتى تنفتح تلك النقطة إلى القلب البسيط بفضل الله تعالى وشفاعة رسوله ﷺ وهمّة أوليائه ، لعل الله تعالى ينطقنا في مكتوب آخر بما يناسب المقام!!

والله الهادي وإليه المآب والمصير . والسلام والإكرام . (منه قدس سره العزيز) .

ثم صلوات النّبي ﷺ الذي داومنا عليه « اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله » ، ثم إذا اشتدت المحبة تجري على اللسان بما رزقنا الله تعالى منه بلا اختيار أي بلا إرادة بحبّ القربة .

ولا يخفى أن الصلاة مما أمرنا به خِضر عليه السلام شفاهاً في اليقظة ، وهي مفتاح جميع الخزائن ، ثم بكلمة التوحيد ، ثم بعد تلقين الشيخ مرَّ سِنون أنعم ، ومنّ رسول الله ﷺ علينا بالكلمة الطيبة مكتوبة على رقعة ، ثم جرى بما جرى الله تعالى ومنّ علينا بلا اختيار ، وكما أوجدت من الحقائق واليقين بواسطة خضر عليه

السلام وتربيته الخاصّ من نبينا ﷺ فضلاً من الله تعالى وتقدّس ، لكن بعد وساطة شيخنا الحاج يونس أفندي حيّاً وميتاً لأنه كان سبباً للفناء ، ثم ربّاني مجدّد الألف الثاني ، ثم شاه معصوم ولي ، ثم ربّاني الغوث الأعظم عبد القادر الجيلاني ـ رحمه الله تعالى ـ بعد تربية الله تعالى في زمان صبوتي ، ثم شيخنا الغوث ذو الجناحين مجدّد المائة خالد شاه السليماني ـ قدس سره ـ ثم بعد تربيته في أول السلوك ، ثم غوث الواصلين بهاء الحق والدين البخاري ـ قدس سره ـ بعد تربيته في أواسط السلوك ، وكلها من رسول الله ﷺ فضلاً من الله تعالى متجدّد ، ولا تغفل من رسول الله ﷺ .

ثم يلزم لكم أن تكتبوا أحوالاتكم ووقائعكم إلينا أيّاً ما كان بالترتيب ، وبأوضح العبارات وبأجلى الخط ليكون أسهل للقراءة وأسرى إلى الفهم ، ويلزم أن تجاهد بالنصيحة والموعظة والتأديب والتعليم لسائر إخوانكم التائبين لتهذيب الأخلاق والمداومة على الذكر ، والاتباع على السنة ، والاجتناب عن البدعة وعن سائر المحرّمات الشائعة بين أهل زماننا كالغيبة والنميمة والافتراء وسوء الظن خاصة في ضبط النظر عن المحرّمات! لأن النظر على المحرمات من النساء فضلاً عن المعاصي مورث القساوة ، وموجب الحرمان في البصر عن الاختيار في الأبصار والبصيرة ، وسبب القساوة للقلب المجلّي والصيقل دون قلب المحجوب عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، رزقنا الله تعالى ورزقكم الاجتناب عن المناهي وعن المكاره بفضله وكرمه ، وأسأل الله تعالى لنا ولكم الاتباع على السنة السنيّة المحمدية والشريعة الأحمدية ، والانتفاع بها في ديننا ودنيانا بجاه محمد عليه الصلاة والسلام .

محمود الفعال ، كريم الخصال ، قدس سره العزيز ،

ورزقنا الله من بركات أنفاسه وفيوضه آمين .

كيفية تربية شيخي وسيدي قطب الزمان وغوث الأوان : محمود أفندي الألمالي ـ قدس الله تعالى سره العزيز ـ وروحي وجميع إخواني وآبائي فداه

مطلب مهم جداً

اعلم أيها الأخ ؛ أوصيكم بوصية لم توصَ خيراً منها فاسمع واعمل بمقتضاها اهديك إلى صراط مستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين هدانا الله وهداكم آمين .

ولا تقل من قول ولا تباشر من مباشرة إلى الأعمال والأفعال إلا بملاحظة رضاء الله تعالى فيه ، وفوِّض نفسك وأمورها كلاً إليه سبحانه وتعالى وتقدَّس ولا تجعل حاجتك خارجاً عن المجيد الجامع « إلٰهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي » فاقتصر دعائك عليه حتى لا يبقى مقصودُك غيرَ ذاته سبحانه ولا مطلوبك إلا رضاه جل سلطانه ولا يترتب هذا الأمر إلا بالصرف في الإرادة والترك ، والصرف في الإرادة أن يكون جميع أمورك خالصاً لله تعالى في جميع المعاملات حتى في الأكل والشرب والقيام والقعود والنوم واليقظة والحبِّ والبغض خاصة في العباد حتى يكون خالصاً لذاته تعالى ، لا للجنة ولا للنار ، ولا لصفاء الباطن ، ولا لكسب الدرجات والمقامات في مراتب الولاية ولا للكرامة والإرشاد ، واحسبه جلَّ جلاله يقيناً ولِّ جميع أمورك الدينية والدنيوية وولِّ أمور الخلائق كلها لا بالعلم والاعتقاد وحده ؛ بل بالتفكر الصائب مع الاعتقاد في موارد جميع الأمور الواقعة أنه تعالى وليُّها فانسب ذلك الأمر إليه تعالى مع قطع النظر عن موارده من الحيِّ والجماد فتفكر في جريان الماء كأنه يجري باختيارها في بادىء النظر ، فإذا رجعت إلى البصيرة وتفكَّرت فيه يظهر أن الله تعالى مجريْها ومرسيها إلى مجراها ، وكذلك الخلق كله في قدرة الله تعالى كالقلم في يد الكاتب ، ومن المعلوم أن كتب القلم بحسن الخط والصيقل مصيب لا يقطع رأسه وإلا يعاتب ويعاقب بالقطع فيلزم بل يجب علينا الرضاء عند تقدير الله تعالى سواء كان خيراً كالغنى في أحوال الدين والدنيا والصحة والسلامة والجنة في الآخرة ، أو شراً كالفقر والمرض والخسر في الدين والدنيا

والنار في الآخرة ، لا لأنه كفر لأن الرضاء على الكفر كفر[1] ، بل لأنه تقديراً لله تعالى والرضاء على الكفر لكونه تقدير الله تعالى إيمان فإذا تلخّص هذا على صحيفة التأمل والتحمل صار ملكة في الطلب أذاقه الله تعالى بفضله سبحانه حلاوة كمال إيمانه أولاً بيقظة الباطن ، ثانياً بحقيقة الإيمان مع البصيرة عن مراتبها لا المراتب المألوفة المكتوبة في الكتب بل للإيمان مراتب في الباطن لدى المشاهدة بالمشاهدة ثم بالخوف على زوال ذلك الإيمان مع المشاهدة في الخوف ، وبالرجاء أيضاً بالمشاهدة عليه وهذه الأمور في السير والسلوك إلى مقام الرضاء ، لا من مقامه ومقام الرضاء فوق مقام الخوف والرجاء حتى تم الخوف والرجاء بالمشاهدة وعارج الطالب عن مقاميهما بالتسليم إلى الله تعالى في جميع أموره حتى لا يبقى فرق الجنة والنار لا من جهتهما من جهة الخوف والرجاء بتحقق مقام الرضاء ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ولا يخفى أن الخوف من لوازم الرجاء رزقنا الله تعالى ورزقكم طيّ مقاماته باليقظة والمشاهدة إلى نهايته حتى نسمع ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ ثم مقام العبودية كما في ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ الآية وهذا السير مشرب المحمدية المحمودية نسأل الله تعالى لنا ولإخواننا ذلك المشرب مشرباً هنيئاً والصرف في الربّ هو ترك ما وراء ذاته تعالى عن صحيفة الباطن حتى يرى جميع الخلق معدوماً في مقابلة وجوده الحقيقي بالمشاهدة ثم ترك الترك ، وهذا الترك يتحقق بتحقق الإرادة بكمالها والسلام يقودنا وإياكم إلى دار السلام.

خاتمة التأليف

تم رسائل شيخي وسيدي وسندي وجدّي إلى الفضائل والمعالي ، قطب الزمان ، وغوث الأوان الشيخ محمود أفندي الألمالي لمريده ومأذونه العالم الرباني ، والفاضل الصمداني ، المرشد الكامل ، والرجل الواصل الشيخ محمد

---

(١) إذا كان هذا الكفر مجمعاً عليه.

ذاكر أفندي الجسطاوي ، رحمهما الله تعالى وقدّس روحهما ونوّر ضريحهما ، اللهم بجاه نبيك وحبيبك المصطفى وآله وأصحابه وأرباب العبا أسألك أن تجعلني وجميع إخواني من أحفاده المقبولين وأبنائه المرضيين آمين .

تاريخ الانتهاء

انتهى في ليلة الثلاثاء الثامن من شهر ذي القعدة الحرام من سنة ١٣٢١ .

اللهم اجعلنا من أهل التسليم إليك والتفويض لا من لك في الأمر والنهي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [١] .

* * *

(١) تم ولله الحمد والفضل والمنّة تصحيح وتنقيح ومقابلة هذه التبصرة النافعة إن شاء الله تعالى مساء السبت السابع والعشرين من جمادى الأخر سنة سبع عشرة من القرن الخامس عشر الهجري الموافق للثامن من تشرين الثاني سنة أربع قبل الألفين؛ حامداً مصلياً ومسلماً على خير المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلينا وعلى والدينا وأشياخنا وإخواننا وأحبابنا أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

دمشق الشام — عبد الجليل العطا البكري

فهارس الكتاب

فهرس تبصرة المرشدين